

مجلة الكلمة الطبية

العدد الخامس عشر

كلمة الكلمة

السلام احمد عاقبة

ظلت الإنسانية وعلى مر دوراتها التاريخية تنشد عامل الخير، حيث فطرة الإنسان (فُطِرَتَ اللهُ الَّتِي فُطِرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) فسُنَّت القوانين والتشريعات في مسعىٍ خيّر لتنظيم حياة الكائن البشري، والأخذ بيده إلى عالم يسوده السلام وتظلله الطمأنينة والسكينة، بيد أن عوامل الشر ونوازعه لم تغب هي الأخرى عن سماء هذا الكوكب محط الابتلاء الإلهي، فمدية قابيل لم تفتأ تنخر هذا الجسد الضعيف كلما سكن الإنسان وحاول (التقرب) إلى خالقه، فجاء الإسلام خاتماً ومتمماً لما سبق فكان اسماً على مسمى، فالسلام رمزہ والخير مандتہ، فأول ما يبتدر الإنسان أخاه بعبارة (السلام...) ويودعه بـ(السلام) فنشر هذا الدين قيمة السلام في ربوع البلاد التي فتحها وطهرها من تراكمات الشر التي كادت أن تقضي على نسله فكانت المشيئة الإلهية أن تعود هذه القيم لتحكم عالم الأرض من جديد، وتستمر المسيرة رغم محاولات التخريب المتعمد والطعن الظاهر والخفي، بعد أن غابت رموز العدالة والسلام عن عالم الأرض فبعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، بدأت خيوط الشر تحيك نسيجها، لتلتف على المسيرة التي كادت أن تقضي على آخر مؤامراتها.

وتظل مسيرة الإصلاح تعتمر في قلوب قادة الأمة وصدورهم التي تحمل ثقل القرآن وهم الأمة، فتكون ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) فاتحة لعهد التغيير، ولتؤشر علامات ورموز الخير نياشين في صدور الفاتحين بدم الطاهرين، لتبعد شبح الشر المحيق بأستار الدين، وإرساء دعائم الإسلام الذي تتوق له الإنسانية عموماً، ولالإمام الشيرازي (دام ظله) مشروعاً رائداً في طرح عملية السلام واللاعنف تأخذ منهجاً تغييرياً في الأمة، فشعار سماحته (السلام أحمد عاقبة) يأتي بمثابة الإطار الذي يغذي هذا المشروع الحضاري الكبير ويحصنه من الصدام غير المحسوب، وكمنهج تربوي للمسلم ليكون شعار السلام ينطبق على واقعه الإسلامي، الأمر الذي لا يتعارض مع حالة الدفاع المشروعة عن النفس والحرمان والمقدسات، ومهما نظر مفكروا العالم، فإنهم سيجدون أنفسهم عاجزين عن إيجاد بديل حضاري ينتشلهم من دوامة العنف إلا باللجوء إلى القانون الإسلامي والشرعة التي وضعها لضمان السلم بكل أنواعه ابتداءً بالفرد والجماعة ثم السلم العالمي، وقد عاش العالم المتحضر حالة من العنف، منذ ما يزيد على قرن من الزمان حيث الحربين العالميتين المدمرتين، ومن ثم الحروب الثنائية وحروب الأحلاف والحرب الباردة والحروب الاقتصادية وربما حروب الاتصالات والتكنولوجيا التي بدأت بواورها الآن، وقد جرب العالم عدة أنواع من النظريات والمبادئ التي لم تهذب سلوك الإنسان بل وزادته شراسة في بعض الأحيان، واستمرت حالة الشر قائمة وتتجدد كلما وجدت لها منفذاً للانقضاض على فرائسها لتحيل العالم إلى الفوضى والدمار، وبعد الحوادث الأخيرة التي اجتاحت المدن الأمريكية، ثبت أن حالة

الشر بإمكانها أن تطال كل بقعة من الأرض دون استثناء عندما تتوفر لها عوامل التآجيج التي تثيرها بعض القوى العالمية، كما أن الادعاءات التي تسوقها منظمات الضغط اليهودية في العالم لاتهام الإسلام إنما هي مردودة عليها لأنها هي نفسها أول من بدأ بالارهاب وجذّره في عقول الكثير من الشعوب، سواء بالضغط أو التحريض أو الاعتداء غير المبرر أو الاحتلال المباشر.

وهنا لابد من نقطة لكل مسلمي العالم بأن عليهم أن يعرفوا الإسلام إلى كل بلاد العالم بقوانينه السامية وأن لا يدعوا من هب ودب يتربع على منابر دولية ويتكلم باسم الإسلام، ويسيء له. لذلك فلابد من إعادة صياغة وعي الأمة الإسلامية ودولها. وهذا ما أكد عليه سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) بحيث يعرف المسلم ويعرف على حقيقته الناصعة عبر الكتاب والنشريات وشبكة الانترنت وأن يتحمل علماء الأمة مسؤوليتهم في هذه المهمة الشاقة للدفاع عن الإسلام عودة قوانينه إلى الوجود لتضمن عالم الأمن والحرية والسلام.

أسرة التحرير

تقويم الشهر

تقويم شهر رجب

الأعمال

الليلة الأولى

وهي ليلة شريفة جداً وفيها عدة أعمال:

١ - أعمال رؤيا الهلال.

٢ - الغسل.

٣ - زيارة الحسين.

٤ - أن يصلي عشرين ركعة بالحمد والتوحيد.

٥ - أن يصلي بعد العشاء ركعتين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة الانشراح مرة والتوحيد ثلاثاً ويقرأ في الثانية بعد الفاتحة الانشراح مرة والتوحيد مرة والمعوذتين. فإذا سلم قال لا إله إلا الله ٣٠ مرة وصلى على النبي ٣٠ مرة إلى غير ذلك من الأعمال، راجع (مفاتيح الجنان، الدعاء والزيارة) قسم الأعمال الخاصة بليالي وأيام رجب.

الأول من رجب

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (إن رجب شهر عظيم ولا يقاربه من الشهور حرمة وفضلاً، والقتال مع الكفار فيه حرام، ألا إن رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي، ألا من صام من رجب يوماً استوجب رضوان الله الأكبر وابتعد عنه غضب الله، وأغلق عنه باب من أبواب النار).
وأول يوم من هذا الشهر هو يوم شريف وهناك جملة من الأعمال المسنونة لهذا اليوم كالصوم والغسل، وزيارة الحسين (عليه السلام) وبعض الصلوات المستحبة كما في كتابي (مفاتيح الجنان، الدعاء والزيارة).

الليلة الثانية

وفي هذه الليلة تصلي عشر ركعات بـ(الحمد مرة، والكافرون مرة) راجع كتاب مفاتيح الجنان، الدعاء والزيارة.

الليلة الثالثة

تصلي عشر ركعات بالحمد مرة وسورة النصر خمس مرات

الليلة الرابعة

تستحب صلاة مائة ركعة يقرأ في الركعة الأولى الحمد والعلق، وفي الثانية الحمد والناس.

الليلة الخامسة

يستحب صلاة ست ركعات يقرأ فيها الحمد وخمس وعشرين مرة سورة التوحيد (راجع كتاب الدعاء والزيارة) ..

الليلة السادسة

يستحب صلاة ركعتين مع الحمد وآية الكرسي سبع مرات.

الليلة السابعة

يستحب أن يصلي في هذه الليلة أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بالحمد مرة والتوحيد ثلاثاً، ويقرأ المعوذتين وبعد الصلاة يصلي على النبي وآله عشراً ويقرأ (الباقيات الصالحات وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) عشراً ولها فضل عظيم. يراجع (مفاتيح الجنان، الدعاء والزيارة).

الليلة الثامنة

صلاة عشرين ركعة بالحمد مرة والتوحيد والكافرون والمعوذتين ثلاث مرات.

الليلة التاسعة

يستحب أن يصلي فيها ركعتين بالحمد وخمس مرات ألهاكم التكاثر.

الليلة العاشرة

يستحب أن يصلي صلاة اثنتي عشرة ركعة بعد المغرب بالحمد مرة وثلاث مرات سورة التوحيد.

الليلة الحادية عشر

تستحب فيها الصلاة اثنتي عشرة ركعة بالحمد واثنتي عشرة مرة آية الكرسي.

الليلة الثانية عشر

تستحب فيها صلاة ركعتين بالحمد وعشر مرات الآية الكريمة رقم ٢٨٥ إلى نهاية سورة البقرة. (أَمَنْ الرَّسُولُ بِمَا...).

الليلة الثالثة عشر

بداية الليالي البيض

ومساء هذا اليوم أول ليلة من الليالي البيض (١٣، ١٤، ١٥) من شهر رجب ويستحب فيها الصلوات التالية:

١- في الليلة الأولى ركعتان يقرأ فيهما بعد الحمد (يس، الملك، التوحيد) مرة.

٢ - وفي الثانية أربع ركعات كما في الليلة السابقة.

٣ - وفي الثالثة ست ركعات على نفس الطريقة السابقة.

أما الصلاة الخاصة بهذه الليلة فهي عشر ركعات في الأولى بالحمد مرة والعاديات. وفي الثانية بالحمد وألهاكم التكاثر مرة.

اليوم الثالث عشر

وهو من الأيام البيض فيه أجر وثواب لكل من يصومه. ويصوم اليومين من بعده، ومن أراد أن يأتي بعمل أم داود فعليه أن يبدأ بصوم هذا اليوم.

الليلة الرابعة عشر

يستحب أن يصلي فيها ثلاثون ركعة بالحمد مرة والتوحيد وآخر سورة الكهف: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ...)

اليوم الرابع عشر

يستحب في هذا اليوم:

- الصيام لأن ليلة هذا اليوم هي ليلة النصف من رجب ولأنها من الليالي البيض.

- الغسل.

- زيارة الإمام الحسين (عليه السلام).

- أعمال وصلوات أخرى. راجع كتب الأدعية.

الليلة الخامسة عشر

يستحب أن يصلي فيها ثلاثون ركعة بالحمد مرة والتوحيد عشر مرات. كما يستحب أن تصلي صلاة الحاجة كما في المصادر (مفاتيح الجنان، الدعاء والزيارة) المخصوصة بهذه الليلة..

اليوم الخامس عشر

وفي مثل هذا اليوم هناك أعمال خاصة تسمى بأعمال أم داود وغير ذلك (راجع مفاتيح الجنان).

الليلتان السادسة والسابعة عشر

صلاة تصلي ركعتين كما في الليلة ١٥.

الليلة الثامنة عشر

يستحب أن يصلي فيها ركعتين بالحمد مرة والتوحيد والفلق والناس عشراً عشراً.

الليلة التاسعة عشر

الصلاة أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وآية الكرسي والتوحيد، كلاهما ١٥ مرة.

الليلة العشرون

الصلاة (ليلة العشرين) ركعتين تقرأ فيهما بعد الحمد سورة القدر خمس مرات في كل ركعة.

الليلة الحادية والعشرين

يصلي ست ركعات يقرأ فيها بعد الحمد الكوثر ١٠ مرات، والتوحيد ١٠ مرات.

الليلة الثانية والعشرين

تستحب الصلاة في هذه الليلة ثمان ركعات بالحمد مرة والكافرون سبعا، فإذا فرغ صلى على النبي (صلى الله عليه وآله) عشراً، واستغفر الله عز وجل عشراً.

الليلة الثالثة والعشرين

تستحب الصلاة في هذه الليلة ركعتين بالحمد مرة وسورة الضحى خمسا.

الليلة الرابعة والعشرين

يستحب أن يصلي ٤٠ ركعة بالحمد مرة وآية (أَمَّنَ الرَّسُولُ...) مرة وسورة الإخلاص مرة.

الليلة الخامسة والعشرين

يستحب أن يصلي فيها عشرين ركعة بين المغرب والعشاء بالحمد مرة وآية (أَمَّنَ الرَّسُولُ...) مرة وسورة التوحيد مرة.

الليلة السادسة والعشرين

يستحب أن يصلي فيها اثنتي عشرة ركعة بالحمد مرة وأربعين مرة (وفي رواية أربع مرات) سورة التوحيد.

الليلة السابعة والعشرين

وفيها عدة أعمال خاصة يراجع (مفاتيح الجنان، الدعاء والزيارة)

الليلة الثامنة والعشرين

من صلى فيها اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة. وسورة الأعلى عشر مرات وسورة القدر عشر مرات. كذلك مثلها صلاة ليلة ٢٩.

الليلة الثلاثون

يستحب أن يصلي فيها عشر ركعات بالحمد مرة. والتوحيد عشر مرات.

اليوم الثلاثون

وهو آخر يوم من شهر رجب ويستحب فيه الغسل والصوم والصلاة (راجع كتاب الأدعية ومفاتيح الجنان).

الأحداث والمناسبات

اليوم السنة (هـ) المناسبة

١ ٥٧ هـ ولادة الإمام الباقر (عليه السلام)

وعلى رواية كانت ولادة الإمام الباقر (عليه السلام) فيستحب زيارته في هذا اليوم، وقد ذكرت ولادته في الثالث من صفر.

٢ ٢١٢ هـ ولادة الإمام الهادي (عليه السلام)

ورد عن ابن عياش أن ولادة الإمام الهادي (عليه السلام) كانت في مثل هذا اليوم في منطقة تعرف بـ(صُريا) واسمه علي وكنيته أبو الحسن وأشهر ألقابه: (النجيب، المرتضى، العالم، الفقيه، الناصح، الأمين وغيرها..)

٢ ٣٦٨ هـ وفاة السيرافي

وفي هذا اليوم توفي في بغداد حسن بن عبد الله المعروف بالسيرافي النحوي وقد تتلمذ لديه السيد الرضي في طفولته.

٣ ٢٥٤ هـ وفاة الإمام الهادي (عليه السلام)

وفي هذا اليوم على قول ابن عياش وعلي بن إبراهيم القمي توفي الإمام الهادي (عليه السلام) وقد ذكرت وفاته في ٢٧ جمادى الآخرة. وقد دس له السم من قبل المعتز العباسي الحاكم آنذاك، وكان ذلك في يوم الاثنين بعد عمر مبارك بلغ ٤٢ عاماً، ومرقده الشريف في سامراء المقدسة.

٤ ٢٤٤ هـ وفاة ابن السكيت

وهو يعقوب بن إسحاق (ابن السكيت) وقد توفي في مثل هذا اليوم وقد كان مؤدباً لأولاد المتوكل الذي سألته

يوماً: أيهما أفضل ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فأجابه: (لشسع نعل قنبر أفضل منك ومن ولدك) فأمر المتوكل أن يخرجوا لسانه من قفاه، فسمي ابن السكيت لكثرة سكوته.

٦ ١٨٣ هـ أو ١٨٦ هـ شهادة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)

في هذا اليوم وعلى قول الكليني توفي موسى بن جعفر (عليه السلام) والمشهور هو يوم ٢٥ من هذا الشهر.

٨ ١٠٣٣ هـ ولادة الحر العاملي

وفي هذا اليوم كانت ولادة الحر العاملي وهو أحد المحمدين الثلاثة، توفي في خراسان وقبره الشريف في صحن الرضا (عليه السلام) وأسرة بن الحر من الأسر الكبيرة المعروفة بالعلم.

٨ ١١٩١ هـ وفاة السيد حسن الخوانساري

توفي السيد حسن الخوانساري أستاذ السيد بحر العلوم والميرزا القمي في مثل هذا اليوم، وهو شارح دعاء أبي حمزة الثمالي وزيارة عاشوراء.

٩ ٩٣٠ هـ حكم الصفويين

جلس على كرسي السلطنة الشاه طهماسب الصفوي في مثل هذا اليوم، وقد كان عدد السلاطين الصفويين تسعة وحكموا تقريباً مائتين وعشرين عاماً. وروجوا للتشيع والمذهب الجعفري.

١٠ ١٩٥ هـ ولادة الإمام الجواد (عليه السلام)

ولد الإمام الجواد (عليه السلام) في مثل هذا اليوم وعلى رواية ابن عياش. أمه كانت أم ولد من أهل النوبة، ومن أهل بيت مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكانت أفضل نساء زمانها. أشخصه المعتصم إلى بغداد سنة ٢٢٠ هـ وبقي فيها حتى توفي في آخر ذي العقدة سنة ٢٢٠ هـ ودفن في بغداد مع جده الإمام الكاظم (عليه السلام).

١١ ----- وفاة إبراهيم (عليه السلام) ابن الرسول (صلى الله عليه وآله)

كانت فيه وفاة إبراهيم ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى قول آخر في يوم ١٨ رجب.

١٢ ٣٢ هـ وفاة العباس بن عبد المطلب (رض)

توفي في مثل هذا اليوم عم الرسول (صلى الله عليه وآله) دفنه ابنه عبد الله. وقبره في بقعة واحدة مع قبور الأئمة (عليهم السلام) في بقيع الغرقد.

١٢ ٣٦ هـ قدوم الإمام علي (عليه السلام) إلى الكوفة

قدم أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الكوفة واتخذها مقراً لخلافته.

١٣ ٢٣ ق. هـ ولادة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)

ولد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في مثل هذا اليوم في الكعبة المعظمة وهو أول من آمن بالنبي (صلى الله عليه وآله) واشترك في جميع غزوات وحروب النبي (صلى الله عليه وآله) عدى تبوك. وقد زوجه الرسول (صلى الله عليه وآله) من ابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) وأخاه يوم المواخاة وأعلن في يوم الغدير إمامته على المسلمين. وقد تولى الخلافة ودامت حكومته أربع سنوات وتسعة أشهر خاض خلالها حروب: الجمل وصفين والنهروان، وقد استشهد أثر ضربة من الشقي عبد الرحمن بن ملجم (لغنه الله) في ٢١ من رمضان عام ٤٠ هـ

١٤ ٦٤ هـ وفاة العقيلة زينب (عليها السلام)

ويصادف في مثل هذا اليوم استشهاد بظلة كربلاء الحوراء زينب بنت علي بن أبي طالب (عليها السلام) ومقردها الشريف في دمشق.

١٥ ٢ هـ تحويل القبلة

وقد تم تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام في مثل هذا اليوم في مسجد بني سالم بالمدينة والذي يعرف الآن بمسجد القبلتين حيث أتى الوحي إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو في الركعة الثانية من صلاة الظهر فاستدار (صلى الله عليه وآله) هو ومن معه من المسلمين إلى جهة الكعبة.

١٥ ١ هـ عقد قران أمير المؤمنين (عليه السلام)

وفي هذا اليوم تم عقد قران أمير المؤمنين (عليه السلام) على الزهراء (عليها السلام).

١٥ ٦٠ هـ موت معاوية (لعنه الله)

وفي مثل هذا اليوم هلك معاوية بن أبي سفيان في دمشق.

١٥ ١٤٨ هـ شهادة الإمام الصادق (عليه السلام)

على قول بأن هذا اليوم يصادف شهادة الإمام الصادق (عليه السلام) وذكر أكثر العلماء أن عمره الشريف هو خمس وستون عاماً كما روي عن أبي بصير وقد ذكر الشيخ الصدوق وغيره أن المنصور أمر أن يُسم الإمام ففقدوا له عنباً مسموماً ودفن جنب أبيه في البقيع.

١٦ ----- قتل المهدي

في مثل هذا اليوم قتل المهدي بالله الخليفة الرابع عشر العباسي، وهو في بني العباس كعمر بن عبد الله العزيز في بني أمية.

١٧ ٢١٨ هـ وفاة المأمون

قيل أن في مثل هذا اليوم كانت في طوس وفاة الخليفة العباسي عبد الله بن هارون الملقب بالمأمون.

١٨ ----- وفاة إبراهيم (عليه السلام) ابن الرسول (صلى الله عليه وآله)

وهو يوم وفاة إبراهيم (عليه السلام) ابن الرسول (صلى الله عليه وآله) وكان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ثلاثة ذكور وأربع إناث وجميعهم من خديجة إلا إبراهيم فهو من مارية القبطية وجميع أولاده توفوا في حياته إلا فاطمة الزهراء (عليها السلام). وقد توفي إبراهيم عن عام وعشرة شهور وقد بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند موته وقال: (تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون).

١٩ ٩٣٠ هـ وفاة إسماعيل الصفوي

توفي في مثل هذا اليوم الشاه إسماعيل الموسوي الصفوي وكانت بداية سلطنته سنة ٩٠٦ هـ

٢٣ ----- محاولة اغتيال الإمام الحسن (عليه السلام)

في مثل هذا اليوم تعرّض الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) إلى محاولة اغتيال من قبل (جراح بن سنان) في المدائن حيث ضربه بخنجر مسموم حتى بلغ فخذه، ثم أمسك به الإمام من رقبته حتى جاء أنصاره فقتلوا الملعون. من أعمال هذه الليلة: الصلاة في المساء أربع ركعات يقرأ فيها الحمد والإخلاص.

٣٤ ٧ هـ فتح خيبر

وهو يوم فتح خيبر وعودة جعفر الطيار وأصحابه من الحبشة، وخيبر هي من أهم وأمنع حصون اليهود المنتشرة قرب المدينة ولما أحس رسول الله (صلى الله عليه وآله) منهم بالغدر والتآمر بعد صلح الحديبية جهز جيشاً لقتالهم، وفتح خيبر بقيادة الإمام علي (عليه السلام) وذلك بعد أن فشل غيره. وسلم النبي (صلى الله عليه وآله) الراية لعلي (عليه السلام) بعدما قال: (والله لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار) ففتحها علي (عليه السلام) وقتل قائد اليهود مرحب وجمع منه قواده.

٢٥ ١٨٣ هـ وفاة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)

وهذا اليوم يصادف وفاة الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) بعد أن قضى ثلاث عشرة سنة في سجن هارون الرشيد في بغداد حيث دفن فيها.

٢٦ ----- الإسراء والمعراج

وهي من كبرى معجزات النبي (صلى الله عليه وآله) حيث انتقل على البراق من مكة إلى بيت المقدس ومن ثم إلى السماء وذلك (لنريه من آياتنا الكبرى) ولتلقى بعض التعاليم من الله عز وجل، وكذلك لتعزيز موقع الرسول (صلى الله عليه وآله) أمام عنجهية قريش.

٢٧ بعد ٤٠ عام من عام الفيل

المبعث النبوي الشريف وهو يوم المبعث الشريف يوم بعث فيه الرسول (صلى الله عليه وآله) نبياً وهادياً إلى البشر، ويعتبر من الأيام العظيمة الفضل إذ فيه بدأ نزول الوحي على الرسول (صلى الله عليه وآله) وكذلك ولد فيه الإسلام ولذا ينبغي اعتبار هذا اليوم عيداً.. ويستحب فيه الغسل والصوم وزيارة الرسول (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) (راجع كتب الأدعية).

٢٨ ٦٠ هـ مغادرة الإمام الحسين (عليه السلام) المدينة

وفي مساء هذا اليوم غادر الإمام الحسين (عليه السلام) المدينة صوب مكة للإعداد لثورته المباركة.

٢٩ ٩ هـ غزوة تبوك

وفي هذا اليوم حدثت غزوة تبوك التي جهز فيها النبي (صلى الله عليه وآله) جيشاً لغزو الروم في بلاد الشام وترك الإمام علي (عليه السلام) على المدينة وقال له (صلى الله عليه وآله) بعد أن عيره المنافقون: أما ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) وقد كانت امتحاناً صعباً للمؤمنين إذ أنها كانت في زمن العسرة والقحط. وقد استطاع النبي (صلى الله عليه وآله) أن يصل إلى بلاد الرومان وقد انهزموا أمامه وبعدها صالحوه على الجزية وقد نزلت فيها سورة التوبة.

مفاهيم إسلامية

الثبات والنسبية في معاني العسر واليسر في القرآن الكريم

محمد محسن العيد

العسر واليسر.. اللغة والمفهوم

اليسر، هو السهولة والبساطة في انسيابية الفعل لإتمامه دون عناء أو عقبات، وقالوا: هو البساطة في بلوغ القصد دون عنت.

والعسر، هو عكس اليسر تماماً. إذ هو الصعوبة والشدة في الأمور وقلة السماحة فيها. والنفوس كلها تميل لليسر وتيسر الأمور وتنفر من العسر وتعسر الأمور، ولكن في تحقق المعنيين تأرجح في النفوس يجعل المعاني تتأرجح أيضاً فتكون نسبية، فقد يكون الأمر العسير على بعض النفوس يسيراً على الأخرى والعكس صحيح.. وهذه النسبية في معاني العسر واليسر تتحقق في النفس عند اقتران تلك المعاني بالحواس.

فالإحساس نفسه وليد التغير، والحواس لا تدرك المحسوس إلا إذا كان يتمتع بالتغير وضمن حدود الحس، ولذا فلا إحساس بلا تغير.

فالباصرة تحس بالضوء في حدود التغير في طول الموجة بين (٤٥٠٠-٧٥٠٠) الكترون.. والسامعة تحس بالصوت في حدود (٢٠-٢٠,٠٠٠) ذبذبة/ ثانية.. وكذا الشامة في نهايات العصب الحسي الشمي فقط للروائح التي تذوب في المخاط داخل الأنف والتي لا تذوب لا تشم. وكذا الذائقة على اللسان لا ذوق بدون ذوبان المتذوق في اللعاب، أما اللمسة فلا لمس دون تغير في الحرارة أو في الشكل.

ولذا فإن اعتبار الحس في صياغة حقيقة يسر الأمر أو عسره، سوف يجعل المعنى نسبياً بين الناس متأرجحاً بين النفوس. أما عند اعتبار ثوابت الفطرة في النفس الإنسانية، فإن العسر واليسر في وصف الأمور المتعلقة بالنفس سيتميز بمعاني ثابتة.

ومن أجل توضيح الفكرة بالنسبة لمعاني العسر واليسر نضرب الأمثلة التالية:

أولاً: في اعتبار الحس والحواس أساساً في تحقق معنى اليسر أو العسر، نقول مثلاً عن نقل حجر: أنه كان يسيراً لعمرو ولكنه عسير على زيد، لأن عمرو كان قوياً في حين كان زيد ضعيفاً.

إن كون الأمر يسيراً لأحد وعسيراً على غيره، إنما كان بسبب اعتبار الإحساس أساساً في تحقق هذا الأمر، فالقوة والضعف هما مقداران حسيان.

أما في قوله تعالى: (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّافُورِ، فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ، عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ) (سورة المدثر،

الآيات ١٠-٨)، فيوم القيامة مثلاً عسير على الكافرين وهو يسير على المؤمنين باعتبارات غير حسية، إذ الاعتبار هنا هو الإحسان الذي تميزت به النفوس. والإحسان هو هدف في ذاته وغاية في نفسه، فهو من ثوابت الكون والكانات وسنة حسنة من سنن تكوينها.. فالنفوس كلها مؤمنها وكافرها هدفها الإحسان وغايتها بلا زمان ولا مكان يحد هذا الهدف أو يلغيه، إلا أن النفس الكافرة يزين لها الشيطان عملها فتراه حسناً وتخدع نفسها بالنفاق فتظن أنها تحسن صنعاً حتى تلاقي يومها الذي لا بد منه فتواجه بحقيقة قبحها وترى من فعلها ذاك العسر والعنت.

قال تعالى: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (سورة الكهف، الآيتان ١٠٣-١٠٤).

وكذا يقول عز القائل في المنافقين: (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ) (سورة البقرة، الآية ٩).

فالذي يتجاوز الثوابت من نفسه وكونه إنما يخدع نفسه، فالعسر واليسر في معيار الفطرة الإنسانية السليمة لهما معنيين ثابتين.. فتري أن صاحب الفطرة السليمة يميل للبساطة والسهولة، وينفر من التعقيد والصعوبة في سلوكه وقوله مع إصراره على الاستقامة في إرادة الحسن بكل معانيه الربانية، الطاعة، والرحمة والحق والعدل والسيادة والصبر وطلب ما بعد الموت وتوحيد الله والسعي للأحسن من مصدريه الثابتين، وهما وحيه المكتوب في قرآنه ثم من تراجمة وحيه المنزل في واقع الوجود والحياة والعقل المتمثل في عترة المصطفى (صلى الله عليه وآله).. ثم أن صاحب الفطرة السليمة هذا لا يرى في ذلك الإصرار وإرادة الحسن عنتاً أو عسراً، مما يمكنه من تحكيم السنن في أحكامه العقلية مما يجنبه كثير من العسر والمشاكل، ولذا قال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ يَكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ يَكُمُ الْعُسْرَ) (سورة البقرة، الآية ١٨٥).

ولذا فإن العسر والعنت الذي يتواجه بهما الناس، وتبتلي بهما النفوس إنما هما تحصيل حاصل لضياح تلك النفوس في لمة النفاق والشرك. وقد أشار القرآن العظيم إلى هذا المعنى في قوله: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (سورة طه، الآية ١٢٤).

ومثله قوله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) (سورة الليل، الآيات ٥-١٠).

فالتصديق بالحسنى والتكذيب بها هما من مصاديق تحقق معاني العسر واليسر.

إن الدين الإسلامي هو دين الفطرة، به تصح وبه تسلم ومع سلامتها يسلم الإنسان وتحتكم في نفسه سلامة الفطرة.

قال تعالى: (فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (سورة الروم، الآية ٣٠).

والمعصوم نبياً كان أو إماماً، خصوصاً النبي الأكرم محمد وآل بيته المعصومين في سيرهم تجسيد لواقع الفطرة السليمة ومثال أعلى لنا وأسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر. كانوا (صلوات الله عليهم) مثلاً لليسر ومعانيه في البساطة وبلوغ القصد دون عنت.

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله)، سهل بسيط ينفر من التعقيد، يميل إلى أيسر الأمور وما خَيْرَ بين

أمرين إلا ويختار أيسرهما وأكثرهما رحمة للناس، وكان مثلاً لمعاني اليسر في كل ما يقول ويفعل. وكان الأئمة (عليهم السلام) يجالسون الفقراء ويؤاكلون المساكين، يصلون الأرحام ولا يجافون أحد، ويقبلون الاعتذار، يخصفون النعل ويرقعون الثوب ويخدمون أهلهم وضيوفهم بأنفسهم، يجيبون الوليمة، ويعودون المرضى، ويشيعون الجنائز، ويركبون الحمار مثلما يركبون الفرس، وكان لهم عبيد وإماء لا يترفعون عليهم في مأكلاً أو ملبس، يبدأون من لقيهم بالسلام.. وإذا جلس أحدهم بين أصحابه كان كأحدهم، وكانوا (عليهم السلام) يدعون أصحابهم بكُنَاهم، وكانوا أبعد الناس عن الغضب وأقربهم إلى الرضا... وكانوا (عليهم السلام) أرق الناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس. وكانوا أسمح الناس سجية، يطعمون الجائع ويكسون العاري ويعينون ذا الحاجة ويقضون دين المدين... هذه سيرتهم يسر في يسر، يحذرون من العسر وتعسير الأمور.

قال الإمام علي (عليه السلام): (يأتي على الناس زمان عضوض بعض الموسر فيه على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى: (وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) تنهد فيه الأشرار وتستذل الأخيار ويباع المضطرون وقد نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن بيع المضطرين)(نهج البلاغة، الجز الرابع، ص ١٠٨). وقال (عليه السلام): (إن الله سبحانه وتعالى أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً وكلف يسيراً ولم يكلف عسيراً)(نهج البلاغة، الجزء الرابع، ص ١٧).

العسر واليسر في القرآن الكريم

كل ما ذهبنا إليه من المعاني الثابتة والنسبية لليسر والعسر لها أمثال وبيان واضح في القرآن الكريم. قال الله تعالى على لسان موسى بن عمران (عليه السلام) في حوار مع الخضر (عليه السلام): (قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا) (سورة الكهف، الآية ٧٣) بما في نفس موسى (عليه السلام) من فطرة سليمة تنفر من التعقيد والغت مع إقرارها على طلب الإحسان ورغبتها في الحسن من مصدره، فهو يطلب إمضاء إرادته في طلب العلم دون التعسير عليه بشروط، أو دون وجود قيد يمنع عليه المتابعة فهو عسر. وقال تعالى: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ) (سورة البقرة، الآية ٢٨٠). وهذا في الدين وهو من المعاني النسبية التي تتغير بتغير الاعتبار المعياري فالغنى والفقر ليسا من الثوابت إنما هما متغيران، واليسر في الغنى والعسر في الفقر.. ومن كان اليوم فقيراً فنظرة إلى يوم غناه وقدرته على إيفاء ما عليه.

ومثله قوله تعالى: (وَالْأَنْصَارُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ..) (سورة التوبة، الآية ١١٧). أي ساعة الضيق... إلى وقت اشتداد المد المشترك وقوة الكافرين على ضعف المؤمنين... حيث كما قلنا أن اقتران القوة والضعف في تحقيق معنى اليسر والعسر يجعلهما نسبين. ومن الإشارات في معاني كون اليسر قريب من الفطرة السليمة قوله تعالى على لسان موسى (عليه السلام): (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي) (سورة طه، الآيتان ٢٥-٢٦). فاليسر في الدنيا والآخرة رهن اعتبارات النفوس لخيارات بارئها والثبات عليها والتمسك بها. والعسر في الدنيا والآخرة، رهن إعراض النفوس عن خيارات بارئها وخالفها المبدع سبحانه، واتباع الظن

وما تهوى الأنفس.

قال تعالى في ذلك: (...ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ يَرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (سورة النساء، الآيتان ٢٥-٢٦).

وقال تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (سورة التوبة، الآية ١٢٨).

شاعر وقصيدة

أبو الفتح كشاجم

إعداد: فائق محمد حسين

ولادة النابغة

ولد أبو الفتح بن محمد بن الحسين بن سندي بن شاهك الرحلي في مدينة الرملة بفلسطين في أواسط القرن الثالث، وعاش في بيئة أدبية غزيرة العطاء، فنشأ شاباً يافعاً بارعاً في الشعر... وذا رغبة في التعلم والاعتراف من ينابيع المعرفة.

غادر (الرملة) نحو الشرق.. فزار مصر أولاً ثم حلب والشام والعراق ومنها اكتسب المزيد من العلوم والخبرات.

فعدّ نابغة من رجالات الأمة وفذ من أفذاذها وغداً شاعراً، كاتباً، متكلماً، منجماً، منطقياً، محدثاً وله في أهل البيت (عليهم السلام) قصائد يظهر فيها ولاؤه إليهم.

مثل النجوم الزاهرة	آل النبي فضلكم
بالمأثرات السائرة	وبهزتهم أعداءكم
والحلوم الوافرة	ولكم مع الشرف البلاغة
منكم علاكم فاخترة	وإذا تفوخر بالعللا
عن أحمد من نائرة	هذا وكم أطفأتم
وبالسيوف البائرة	بالسمر تخضب النجيع
من كل نفس كافرة	تشقى بها أكبادكم
فزتم بحظ الآخرة	ورفضتم الدنيا لدا

محبته لأهل البيت (عليهم السلام)

وله في مدح أهل البيت (عليهم السلام)

على رزء ذرية الأنبياء	بكاء قلّ عناء البكاء
لقد عزّ فيه ذليل العزاء	لئن ذلّ فيه عزيز الدّموع
كسانيه حبّي لأهل الكساء	أعاذلتي إن برد التّقى
بحبهم يعتلق بالنجاء	سفينة نوح فمن يعتلق

لعمري لقد ضلّ رأي الهوى	بأفئدة من هواها هوائي
وأوصى النبي ولكن غدت	وصاياها منبذة بالعراء
ومن قبلها أمر الميئون	برد الأمور إلى الأوصياء
ولم ينشر القوم غلّ الصدور	حتى طواه الردى في رداء

هكذا أعلن شاعر أهل البيت أبو الفتح كشاجم محبته الصادقة لهم وتفانيه في ولائهم كما قام بالدعوة إليهم بحججه القوية، والتفجع في مصابهم والذب عنهم والنيل من مناوئهم:

ولو سلّموا لإمام الهدى	لقوبل معوجهم باستواء
هاللاً إلى الرشيد عالي الضيا	وسيفاً على الكفر ماضي المضاء
وبحر تدفق بالمعجزات	كما يتدفق ينبوع ماء
علوم سماوية لا تنال	ومن ذا ينال نجوم السماء؟
لعمري الأول جحدوا حقّه	وما كان أولاهم بالولاء
وكم موقف كان شخص الحمام	من الخوف فيه قليل الخفاء
جلاه فإن أنكروا فضله	فقد عرفت ذاك شمس الضحاء
أراها العجاج قبيل الصباح	وردت عليه بعيد المساء
وإن وتر القوم في بدرهم	لقد نقض القوم في كربلاء
مطايا الخطايا خذي في الظلام	فما هم إبليس غير الحداء

تميز عصر كشاجم بكثرة المذاهب والنحل وشيوع الأهواء والآراء، مما أدى إلى تفرق كلمة المسلمين وتشتت قواهم ووحدتهم.. وكان على الشرفاء التصدي لتلك الموجة الحاقدة التي طالت آل البيت.. لذا وقف شاعرنا أبو الفتح كشاجم في المقدمة إمامياً صادق التشيع، مدافعاً عن الحق مندداً بأعداء بيت النبوة.

زعموا أن من أحب علياً	ظل للفقر لابساً جلباباً
كذبوا من أحبّه من فقير	يتحلّى من الغنى أثواباً
حرفوا منطق الوصي بمعنى	خالفوا إذ تأولوه الصواباً

إنما قال: ارفضوا عنكم الدنيا إذا كنتم لنا أحبّاء وقوله:

حبّ الوصي مبرّة وصلة	وطهارة بالأصل مكتفلة
والناس عالمهم يدين به	حباً ويجهل حقّه الجهلة
ويرى التشيع في سرائهم	والنصب في الأراذل والسفلة

براعته

عرف أبو الفتح كشاجم بنبوغته وتضلعه في اللغة والحديث وبراعته في فنون الأدب والكتابة والقريض، وصفه الأميني في غديره بأنه (كان بارعاً في جميع ما ذكر من علوم، فهو جماع الفضائل). ولم يلقب بـ(كشاجم) عبثاً. فالكاف تعني أنه كاتب، والشين تشير إلى أنه شاعر، والألف إلى أدبه أو إنشاده، والجيم إلى نبوغه في الجدل أو الجودة، والميم إلى أنه متكلم ومنطقي ومنجم.. ولما برع في الطب زاد على اسمه حرف الطاء فقيل:

(طكشاجم)!

لقد أفادته رحلاته العديدة بالشيء الكثير فكان يجتمع مع الملوك والأمراء والوزراء ويحظى بجوائزهم ويستفيد من صلاتهم، ويتصل بمشيخة العلم والحديث والأدب، ويقرأ عليهم ويسمع عنهم ويأخذ منهم... وجرت بينه وبينهم محاضرات ومناظرات ومكاتبات إلى أن تضلع في العلوم وحاز السبق في فنون متنوعة، وتقدم في الكتابة والخطابة ونال من كل فن حظه الأوفى ونصيبه الأعلى.. حتى عرفه المسعودي في (مروج الذهب) ج ٢، ص ٥٢٣، بأنه (كان من أهل العلم والرواية والأدب).

يا هذه قلت فاسمعني لفتى	في حاله عبرة لمعتبره
أمرت بالصبر والسلو ولو	عشقت ألفيت غير مصطره
من مبلغ إخوتي؟ وإن بعدوا	إن حياتي لبعدهم كدره
قد هممت شوقاً إلى وجوههم	تلك الوجوه البهية النضره
أبناء ملك علاهم بهم	على العلا والفخار مفتخره
ترمي بهم نعمة تزيتها	مروءة لم تكن ترى نزره
ما انفك ذا الخلق بين منتصر	على الأعداء بهم ومنتصره
جبال حلم بدور أندية	أسد وغى في الهياج مبتدره

وشعره دليل على أنه يقيم وزناً في الغرائز الكريمة النفسية ويمثله بملكاته الفاضلة.

شهرت نداء مناصب لي	في ذرى كسرى صريحة
وسجية لي في المكارم	إنني فيها شحيحة
متحيزاً فيها معلى المجد	د مجتنباً منيحة
ولقد سننت من الكتابة	للورى طرقاً فسيحة
وفضضت من عذر المعاني	الغرى في اللغة الفصيحة
وشفعت مأثوراً الروا	ية بالبديع من القريحة
ووصلت ذاك بهمة	في المجد سائبة طموحة
عزيمة لا بالكلي	ة في الخطوب ولا الطليحة
كلتاها لي صاحب	في كل دامية جموحة

دقة المعاني

لم يكتف بهذا بل يفتخر أبو الفتح كشاجم بشعره كثيراً، ويتفرد في سدد المعاني الفخمة وبدقة أفكاره ومثانة قصائده فيقول:

لو بحق تناول النجم خلق	نلت أعلى النجوم باستحقاق
أو ليس اللسان مني أمضى	من ظلمات المهثدات الرقاق؟
ويدي تحمل الأنامل منها	قلماً ليس دمه بالراقي
أفعواناً تهاب منه الأعادي	حية يستعيذ منها الراقي

وتراه وجود من حيث تجري	منه تلك السموم بالدرياق
مطرقاً يهلك العدو عقاباً	وبريش الولي ذا الأخفاق
وسطوره خططتها في كتاب	مثل غيم السحابة الرقراق
صغت فيه من البيان حلياً	باختراع البعيد لا الأشفاق
وقواف كأنهن عقود الدرّ	منظومة على الأعناق
غررّ تظهر المسامع تيهاً	حين يسمعنها على الأحداق
ويحار الفهم الرقيق إذا ما	جال منهن في المعاني الرقاق

من سيرته أواخر حياته

أخيراً لقد صادف أبو الفتح كشاجم في رحلاته الكثير من المكائد والدسائس وعانى الكثير من العذاب والشقاء.. وبسبب ذكائه وسلامة نفسه وطيب سريرته استطاع التخلص من كل الشراك المنصوبة له.. وفي الوقت ذاته كسب مودة الأصدقاء وثقتهم، التي ازدادت بابتعاده عن الأطماع والمناصب.

لم أرض عن نفسي مخافة سخطها	ورضى الفتى عن نفسه إغضاها
لو أنني عنها رضيت لقصرت	عما تريد بمثلها آدابها
وبيننا آثارُ ذاك وأكثر	عذلي عليه وطال فيه عتابها

وقوله في رفض المناصب والرئاسة باعتبارها من مرديات النفس:

رأيت الرئاسة مقرونة	بلبس التكبر والنخوة
إذا ما تقمصها لابس	ترفع في الجهر والخلوة
ويقعد عن حق إخوانه	ويطمع أن يهرعوا نحوه
وينقصهم من جميل الدعاء	ويأمل عندهم الحظوة
فذلك إن أنا كاتبتّه	فلا يسمع الله لي دعوة
ولست بأت له منزلاً	ولو أنه يسكن المروة

غير أن سماحته وحسن أخلاقه لم تحل دون إبداء رأيه في هجاء من يستحق دون خوف حتى الرؤساء وأتباعهم:

ها قد كتبتُ فما رددت جوابي	ورجعتُ مختوماً عليّ كتابي
وأتى رسولاً مستكيناً يشتكي	ذلّ الحجاب ونخوة البواب
وكانني بك قد كتبتُ معذراً	وظلمتني بملامة وعتاب
فارجع إلى الإنصاف واعلم أنه	أولى بذی الآداب والأحساب
يا رحمة الله التي قد أصبحت	دون الأثم عليّ سوط عذاب
بأبي وأمي أنت من مستجمع	تية القيان ورقّة الكتاب

توفي أبو الفتح كشاجم في سنة ٣٣٠ هـ كما جاء في مقدمة ديوانه وإن اختلفت الآراء في ذلك...

ركن الأسرة

الأطفال وفن النطق

زينب عبد الله

قال تعالى: (الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ).

إن التواصل بين بني البشر له عدة أشكال، أبرزها استخدام اللغة كأسلوب للتفاهم مع أبناء المجتمع الواحد، ووصف مشاعرهم، وعرض أفكارهم، وتلخيص المعاني المعقدة لكثير من الأمور التي تجول بخواطرهم. لذلك يلجأ الأطفال في الأشهر الأولى من أعمارهم الندية إلى انتهاج الصراخ والحركات المعبرة وسيلة للتعبير عن رغباتهم واحتياجاتهم، أو اللجوء إلى البكاء الذي ينطوي على الكثير من التفسيرات. وسرعان ما تتقدم بهم أعمارهم، ليكتسبوا لغة أبائهم ومجتمعهم كوسيلة للتعبير والتفاهم. ولكن كيف يكون ذلك؟ وما هو دور الآباء والمربين في مهارة الطفل اللغوية وقدرته على صياغة مشاعره بدقة وتعلم النطق الواضح للأحرف؟

إن الأطفال في الأشهر الأولى من حياتهم يتمتعون بالاستماع إلى الأصوات، ثم يقبلون على الانتباه إلى الكلمات، والتفكير بها قبل أن يستخدموها. وذلك يعتمد على الإشارات والحركات وأساليب الإشارة المصاحبة للعبارة التي يوجهها الأب أو الأم إلى الوليد الصغير مباشرة. وقد أكدت بحوث ودراسات تربية الطفل أن الأطفال يصبحون أكثر مهارة عند تحدث الوالدان إليهم مباشرة، وترك الفرصة المناسبة للأطفال على الإجابة. ولاسيما أن الحياة اليومية مع الأطفال مليئة بفرص التواصل والتكلم معهم. وبخاصة في توجيه الأسئلة والأوامر والنواهي، وتعطي نموذجاً مناسباً لعرض العديد من المواضيع بعدة أشكال. وكما يجب مراعاة عدم حدوث ضوضاء أو تداخل كلام مجموعة أشخاص آخرين أثناء المحادثة مع الأطفال لما لها من تأثير واضح على عدم انتباههم وقلة إصغائهم. وعند التكلم مع الأطفال بدون وجود ضوضاء نلاحظ كيف يتتبع الأطفال حركة شفاه المتكلم وحرصهم على التركيز بدقة على نغمة صوت الشخص وحركاته والإصغاء إلى الكلمات، ومن هنا يتعلم الأطفال الكلام.

مراحل السمع والكلام عند الأطفال

إن المقدرة السمعية عند الطفل تبدأ من أشهر الحمل الأخيرة وهو في رحم الأم. فيستطيع بذلك أن يميز صوت أمه بعد ولادته من بين الأصوات. حيث أن الطفل يجفل ويصرخ عند سماع الأصوات المفاجئة، بينما يظهر الطفل استمتاعه بالأصوات المنغمة والمألوفة لديه، فنلاحظ انتباهه إلى صوت الأم برغم سماعه الكثير من الأصوات الأخرى. ومن أجل ذلك ننصح الأم المسلمة والمتأدبة بأخلاق الرسول وأهل بيته الكرام أن تستغل هذه

المقدرة السمعية للطفل، بأن تقرأ ضمن فترة الحمل الكتاب المجيد وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام) بصوت مسموع.

وأن تكثر سماع القرآن وترديد الشهادة قدر الاستطاعة لتنعطر أسماع طفلها بأنشودة المتقين لتعمه البركة وترافقه العناية الإلهية بإذن الخالق.

إن الأطفال الحديثي الولادة عادة تكون لديهم أشكال بكاء مختلفة للتعبير عن احتياجاتهم وأحاسيسهم. وكلما زادت شدة بكاء الطفل كلما تيقن الأطباء أن صحة المولود ممتازة. لأن البكاء عند الأطفال يدل بأن مركز التنفس وعضلات التنفس والرننتين والحنجرة والحبال الصوتية فيها تعمل بتوافق. وتستطيع الأم بعد الولادة أن تميز صوت طفلها من بين أصوات الأطفال الآخرين.

ففي الشهر الأول من عمر الطفل، يبدأ بالاستجابة إلى الابتسامة والحديث، وعادة ما تكون الابتسامة والحركات السريعة لأطراف الطفل دليلاً على سعادته وطريقة للتعبير عنها.

أما في الشهر الثاني من عمر الطفل يبدأ بإضافة بعض الأصوات الخاصة به. وفي الشهر الثالث يبدأ الطفل بتمييز الابتسامة عن الكلام والحديث معه، ويطلق أصوات المناغاة عند التحدث معه.

ويعد هذا العمر للطفل من أسعد الأوقات المشتركة التي تحدث بين الأم والطفل لممارسة المناغاة، والتي تعتبر بداية الطريق لتعليم الطفل أخذ الأدوار والحديث، لأن الأطفال في هذا العمر لا يحاولون الكلام وإصدار الأصوات إلا بالتحدث إليهم.

أما عند إكمال الطفل النصف الأول من سنته الأولى، يكون قد بدأ بربط الأصوات ببعضها محاولة لمزجها عن طريق المناغاة، والتمرين المستمر للطفل تصبح المناغاة والأصوات أكثر تعقيداً وتطوراً.

وفي الشهر الثامن، أغلبية الأطفال يمتلكون سروراً بالحديث وحتى إن لم يكن موجه إليهم. لو لاحظنا عند تحدث شخصين بالغين بموضوع معين في أثناء وجود طفل صغير بالعمر المذكور آنفاً بينهما، نلاحظ أن الطفل يلتفت برأسه نحو المتكلم بالتوالي كأنه يراقب كرة تنس، ويركز بعينه على حركات شفاههم. بينما إذا مضت فترة من الزمن ولم يشركوه في الحديث معهم فإنه سيستخدم لغته الخاصة أو إطلاق صرخة للتنبيه بوجوده.

وفي فترة الشهر التاسع يبدأ الطفل بإعادة الكلمات المألوفة بطريقة تساعده على تعلم العلاقة بين الصوت والشئ أو العمل، لذلك لا بد من استخدام جمل قصيرة أو عبارات مختصرة وتلفظها بوضوح والتوقف عندها عدة مرات. كما أن الإعادة والتكرار مهمان جداً في هذه المرحلة ولاسيما ربط الكلمة بمدلولها.

وحتى الشهر العاشر أو أكثر يتعلم الأطفال الطبيعيون أسماء الأشخاص المحيطين بهم أو أسماء بعض الأغذية التي يتناولها الطفل كخطوات أولى للكلام.

تقليد اللغة

إن مرحلة بدء الأطفال بتقليد اللغة تبدأ من الشهر الثامن عشر إلى ثلاث سنوات. نجد الأطفال عندها يحاكون ألفاظاً أكثر تعقيداً لتكوين عبارات من كلمتين. فهذه محاولات ممتازة لأنها تعكس مقدرة الأطفال على توصيل الفكرة. فالأطفال مقلدون جيّدون، وهذه المهارة تزداد بتعلم الكلام. فكثيراً ما يحاول الأطفال الشرثرة مع أنفسهم

أو مع ألعابهم فيجب عدم مقاطعة هذه الثثرة لما لها من تأثير في أنفسهم أولاً، وفي تطور مقدرتهم على الكلام ثانياً.

إن الطفل الأول في العائلة عادة يتكلم مبكراً عن الذين يأتون بعده. وذلك لتركيز اهتمام الوالدان أو الأقارب على الطفل بصورة كبيرة. لذلك يكون خزين الكلمات لدى الطفل ممتازاً مما يساعده على النطق المبكر. ومن الطبيعي للطفل الملتقي لغتان في المراحل الأولى من نطقه أن يخلط بين اللغتين ويكون بطيئاً في الفصل بينهما.

تأخر النطق

على الرغم من أن معظم الأطفال في السنة الثانية من العمر لديهم القدرة على إنتاج كلمات بسيطة. إلا أن البعض منهم قد يتأخر عن ذلك. وتأخر النطق لدى الأطفال يختصره أساتذة كلية الطب في جامعة القاهرة إلى الاحتمالات الآتية:

أ - أمر قد يتصل بطبيعة العائلة، فقد يكون تأخر الكلام عند الطفل حتى بلوغه العامين أو أكثر أمراً طبيعياً بالنسبة لأشقائه الآخرين.

ب - نقص في خلايا الدماغ بسبب العوامل الوراثية أو عوامل مرضية مثل التهاب السحايا والتهاب المخ. فيقل بذلك عن الحدود الطبيعية وبذلك يتأخر الكلام. وقد تصاب الأم خلال فترة الحمل بعدة أمراض تؤثر سلبياً على الطفل، مثل إصابة الأم الحامل بالحصبة الألمانية خلال الأشهر الثلاثة الأولى، والتي تؤدي إلى نقص الأوكسجين عند الطفل وبالتالي إلى تلف خلايا المخ.

وقد يكون الخلل عند الطفل بسبب سوء تغذية الأم الحامل، حيث يؤكد ذلك الدكتور سيد غياب الدين الجزائري بقوله: (إن الفواكه والخضروات التي تحتوي على الفيتامين (B) تعتبر العلاج القطعي للكنة اللسان، والأم التي تتناول من هذا الفيتامين أيام حملها فإن جنينها يأخذ بالتكلم مبكراً ولا يصاب بالكنة).

ج - الصمم، أي عدم قدرة الطفل على سماع الكلام ولتعلم الطفل الكلام لابد أن يكون سمعه طبيعياً. وإذا كانت درجة الصمم عنده شديدة لم يستطع الكلام بتاتاً حتى لو كان ذكاًؤه طبيعياً.

د - عدم قدرة الطفل على تحريك لسانه بسبب وجود رباط بين لسان الطفل وقاعدة الفك الأسفل من الفم مما يمنع خروج اللسان.

هـ - تضخم اللوزتين أو الزوائد الأنفية والتهابها. لأن سمع الطفل يتأثر في مثل هذه الحالات.

علاج تأخر النطق

إن العامل المهم والمتحكم في علاج تأخر النطق عند الأطفال، هو درجة الذكاء إذا كانت طبيعية أو دون ذلك. فإذا كان الطفل ذو مستوى ذكاء طبيعي، فالأولى بالأباء والمربين ترك القلق في أمر تأخر النطق عند أطفالهم، لأنه قد يكون اعتيادياً بالنسبة للعائلة الواحدة. وأما العامل المهم الثاني هو المقدرة السمعية لدى الطفل. ويتم التأكد منها بمراجعة الطبيب والتأكد أيضاً من سلامة اللسان بعدم وجود رباط بين مقدمة اللسان والفك السفلي للفم. فلابد للجراحة من التدخل في مثل هذه الحالات وذلك بقطع الوتر الماسك لمقدمة اللسان ليكون طليق الحركة.

وتأتي بعد ذلك المعالجة الصعبة إذا كان مستوى ذكاء الطفل دون الطبيعي أو بسبب نقص في المخ، لابد من عرض الطفل على الأطباء لإعطائه جرعات منشطة للمخ والغدة الدرقية، وهؤلاء الأطفال لا يستطيعون التعلم في المدارس العادية للأطفال. ومن الواجب توفر المدارس الخاصة لرعايتهم. وإذا كان تضخم اللوزتين أو الزوائد الأنفية سبباً في تأخر النطق. وجب استئصالها، وهؤلاء الأطفال لا يستطيعون النوم إلا وأفواههم مفتوحة.

اضطرابات النطق

قد يجد الطفل بين العام الثالث والرابع من عمره النضر - وربما بعد ذلك - صعوبة في نطق بعض الكلمات، أو تكرار الكلمة الواحدة عدة مرات قبل النطق بها، أي (التلعثم). وقد يصاحب نطق الكلام حركات لا إرادية في الأطراف، واحمرار الوجه وأن ينطق الكلمة بصوت عال. في مثل هذه الحالات يقول الدكتور حنا الخوري من كلية طب جامعة دمشق: (لا يوجد طفل مضطرب وإنما هنالك عائلة مضطربة، وهذا صحيح ٩٩% من حالات اضطراب الكلام عند الأطفال مثل التلعثم والتردد، وحل المسألة أن لا يشدد الأهل على الحالة ومحاولة تلطيف الحالة التي أدت إلى العصبان).

أي أن لا يشعروا الطفل بتاتاً بحديث اللعثة لأن ذلك يؤلم مشاعره وإحساسه المرهف، ويجعل استمرار اللعثة أمراً لا مفر منه. وكما ننصح الأخوة الكبار أن لا يجعلوا من اللعثة عند بعض الأطفال مادة للضحك والمزاح لشدة تأثير الأمر على نفس الطفل سلبياً. وترك أن تأنيب الطفل لأي سبب. إذ لابد أن تكون العلاقة بين الطفل والمجتمع علاقة طيبة للغاية حتى تنمو عواطف الطفل على أنبل ما يكون. وبذلك تزول اللعثة من براعم المستقبل بفترة وجيزة.

ركن الأسرة

عمل المرأة .. استثناء أم قاعدة

محمد ثابت

تفتخر الحضارة الحديثة بأنها انتصرت للمرأة من أعدائها بعد تاريخ طويل من الصراع والمعاناة.. فحررتها من الأسر، وانتقلت بها من حياة التبعية للرجل إلى حياة الاستقلال، وبعد جهاد مرير، منحتها حقوقها الإنسانية وأعدت لها تاجها المسروق فأصبح من حق المرأة أن تأكل ما تشاء وتلبس ما تشاء وتختار المسكن الذي يعجبها وفي أية بقعة من بقاع الأرض.. فهي حرة تتزوج من تحبه من الرجال وتطلقه إن لم يرض غرورها في معظم الأحيان.

ولقد غدا من حقها أن تعمل وأن تجني حصيلتها عملها وتملكها دون أن يشاركها أحد في ذلك من قريب أو بعيد.

إنها اليوم سيدة العصر - بكل ما في هذه الكلمة من معنى - تواكب مسيرته وتؤثر في أحداثه وقضاياها المصيرية وتعيش مع أحلامها الكبيرة لا تعرف المستحيل ولا يقف في وجهها الطريق المسدود. ومع هذا التطور كله.. لا زلنا نقرأ ونسمع هنا وهناك من أولئك الذين ينادون بضرورة أن تتال المرأة حريتها الكاملة وبضرورة مساواتها مع الرجل كل المساواة لا زلنا نقرأ لهم ونسمع منهم الطعن بالفكر الإسلامي والعيب عليه من منطلق تحجيره على المرأة وفرض الحصار عليها داخل الجدران الأربعة.. الأمر الذي يهدر طاقاتها ويبدد مواهبها مع ما لهما من الأثر الكبير الفاعل في خدمة المجتمع وحضارته. ويؤكدون على أن من أسباب تخلف الدول النامية في العالم الثالث هو العزلة التي تعيشها المرأة بعيداً عن معترك الحياة وبعيداً عن ممارسة العمل.

ولذا تبدو الأمم التي لا تبيح العمل للنساء في شلل نصفي ما دامت لا تتيح للمرأة حق المشاركة في النضال. ويقدمون لنا بعد ذلك عشرات الأمثلة عن كفاح الدول التي استطاعت أن تضع المعجزة في بناء رقيها وتمدينها واكتفائها الذاتي بفضل الدور الذي لعبته المرأة بعد الحربين الأخيرتين.

الموقف الإسلامي من المرأة

وقبل أن نعرض الموقف الإسلامي من عمل المرأة علينا أن نحدد أن هناك فرقاً أساسياً بين الإسلام وحضارة اليوم في نظرتيهما للمرأة.

إن أن الإسلام فيما يفرض للمرأة من حقوق وواجبات يلاحظ قبل كل شيء بنيتها النفسية والسيولوجية أنها كائن لا تنفصل عن مبادئها ومجتمعها لكي تستجيب للحق وللواجب.. استجابة تلقائية تنسجم مع دورها الرئيسي

الذي وضعه الإسلام.

وفي مقابل هذا نجد أن دعاة تحرير المرأة قد نسوا في غمرة انفعالاتهم تحديد مسؤولية المرأة وواجباتها .. إذ لم يكن يشغل بالهم سوى حقوقها المهدورة الضائعة على مر الزمن مع أننا لا نستطيع أن نضمن للمرأة حقوقها المشروعة إلا بعد فهمنا لطبيعتها واجباتها وحدودها، وما نشاهده اليوم من تفكك الروابط الأسرية، وتسبب المرأة الخلقي وضياعاها الرخيص في عالم المخدرات وجنون الدعاية والإعلام.. ما هو إلا نتيجة طبيعية لغياب الداعين إلى تحريرها عن مسألة تحديد ما عليها من واجبات ومع إيمان الإسلام بحرية الإرادة والعمل للمرأة، لم ينس أن يحدد مسؤولياتها كي لا تضيع مقدراتها في دوامة الفوضى والاستهتار.

مسؤوليات المرأة المسلمة

فعلى المرأة مسؤوليتها الدينية بحكم انتمائها للإسلام.. ولا أعني بذلك مجرد التزامها السلوكي.. إنما يجب عليها أن تكون امرأة رسالية تدعو إلى الله وتبشر بالإسلام في المجال الذي تؤثر فيه. وعلى المرأة مسؤوليتها الحياتية بحكم انتمائها العضوي للمجتمع والوطن ولا يعني هذا أن واجبها ينتهي عند حدود أمومتها أو مشاركتها للرجل كزوجة بل إن عليها واجبا تربوياً وثقافياً تستطيع ممارسته بنجاح في أي مجال من مجالات الخدمات الاجتماعية.

فقد ورد عن رسول (صلى الله عليه وآله): طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.. فلا أثر لعلم تطلبه المرأة المسلمة دون أن تحوكه إلى عمل مثمر ينحصر بالعطاء النافع الموجه للمجتمع والوطن.

فإذا جاز للمرأة أو وجب عليها أن تعمل على الصعيد الاجتماعي.. فهل يجوز أو يجب عليها أن تعمل على الصعيد المهني؟

لدينا سببان رئيسيان.. يفرضان على المرأة أن تعمل وتكدح كما يعمل الرجل ويكدح.

أولاً: استغلال ذكاء المرأة وتوظيف ما لديها من طاقات لخدمة مجتمعتها وتطوير اقتصاده بالتزامها نصف المجتمع وهو البيت.

ثانياً: إن عملها هو مرحلة انتقالية فرضتها ظروف الحرب وما خلفته من مأس وويلات ومحن كالمجاعة وتشنت الروابط العائلية حيث يصبح الاعتماد على النفس الدافع الطبيعي للبقاء.

وإزاء ذلك يضع الإسلام نظريته في خطوطها العامة بما يمكننا إيجازه بأن عمل الرجل هو القاعدة وقعوده عن العمل هو الاستثناء.

بينما يعتبر عمل المرأة المهني هو الاستثناء وقيامها بدورها الأسري والاجتماعي هو القاعدة. فالمرأة كما نعلم لها دورها الفطري المقدس في الحياة، هذا الدور الذي كونت من أجله وطبعت عليه لتكون الزوجة الصالحة والأم المربية.

ومهما تكن فإن عليها من المسؤوليات والتضحيات ما يضيق عنده المجال ولها من الأثر في بناء الأمة ما لا يحصيه كتاب.

فالمجتمع المتكامل في نظر الإسلام هو المجتمع الذي لا تجبر فيه المرأة على إهمال وظيفتها الطبيعية لتعمل وتكد من أجل عائلتها.

إذ أن مجتمعاً تُكره المرأة فيه على العمل الشاق بعيداً عن واجبها المقدس مجتمع لا يأوي إلا الرجال المهزومين أمام أنفسهم وأمام الحياة.

أن عمل المرأة المهني مهما قدم من نفع يظل بناؤه مبتوراً لأنه قائم على حرمان الجيل من مدرسته الواقعية الأولى في الحياة. فالإسلام يعطي حق العمل للمرأة بشرط ألا يكون ذلك على حساب حقوقها الشخصية أو حقوق زوجها أو حقوق أطفالها.

وليس عملها ظاهرة جديدة، فقد كانت المرأة تعمل على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يروي الإمام الصادق (عليه السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لزَيْنَب العظارة: (إذا بيعت فأحسني فإنه اتقى وأبقى للمال)(بحار الأنوار ج ١٠٣، ص ٩٦).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): (لا بأس بكسب الماشطة إذا لم تشارط وقبلت ما تعطى ولا تصل شعر المرأة وأبقى للمال)(بحار الأنوار: ج ١٠٣، ص ١٠٣).

وهكذا يبدو لنا الفرق الأساسي بين دعاة تحرير المرأة الذين يعتبرون عملها المهني ملازماً لحريتها.. ولا يهمهم بعد ذلك نوعية العمل الذي تمارسه المرأة وبين الإسلام الذي لا يبيح للمرأة إلا العمل الإيجابي وفي ظروف خاصة وما ذلك إلا لأن الإسلام في نظريته الشمولية العميقة لا يخرج المرأة عن دائرة ارتباطها بالمجتمع وانتمائها للدين.

ركن الأسرة

دور اللعب والألعاب في حياة الطفل

حسن رضا العوادي

يعتبر اللعب من أكثر النشاطات التي يقوم بها الطفل في مرحلة الطفولة، وهي وسيلة يلجأ إليها لاستكشاف ذاته وما يدور حوله، لذا فإنه وسيلة فعالة لتفريغ الطاقة الزائدة لدى الأطفال، وإذا لم يتمكن من اللعب نراه في حالة من التوتر والقلق والعصبية، واللعب ينمي في الطفل المهارات الحسية والحركية، ويساعده في أداء الحركات والقدرة على التحكم بها.. ويبدأ اللعب بحركات تلمسية استكشافية، ومع تقدم الطفل في العمر ونمو قدراته العقلية فإنه يقلد الأشخاص الكبار،

مثل أن تلجأ الطفلة الصغيرة إلى محاكاة الدمى.. كما لو كانت حية، أو قيام الولد بتمثيل دور الطبيب، حيث يأخذ بفحص الدمى أو الأولاد الذين يلعبون معه.

ومع التقدم في العمر فإن الوقت المخصص للعب يكون أقل، أما الألعاب ذات الطابع العقلي والمعرفي، مثل قراءة القصص، أو حل الألغاز، ومشاهدة التلفاز، تأخذ بالتزايد.

ووفقاً لرأي أحد أعلام التربية، وهو مكارنكو، فإن (اللعب في حياة الأطفال يحمل الأهمية التي ينطوي عليها العمل في حياة الكبار، فكيفما يكون الطفل في اللعب، فإنه سيكون كذلك إلى حد بعيد في عمله عندما يكبر لذلك تنشأ تربية الشخصية قبل كل شيء في اللعب، بل أن تاريخ الفرد كشخصية ربما نتصوره في نمو اللعب وفي الانتقال التدريجي من هذا الشكل الطفولي ثم النشاط إلى العمل، ومن ثم فإن تربية الطفل من حيث تكوين شخصيته ينبغي ألا تقوم على استبعاد اللعب من حياته، وإنما على حسن تنظيمه بحيث تؤدي إلى تكوين الخصائص البنائية للطفل في نموه..).

ولذا نجد شخصية الطفل الذي يبتعد عن اللهو واللعب تميل إلى الانطوائية بحيث تشكل شراً واضحاً في نفسه، على العكس من الطفل الذي يملأ سنيه الأولى بأنواع من الألعاب الموجهة، فإنها تضيف عليه نوعاً من الاستقرار النفسي.

مفهوم اللعب

لم يرد في الأدبيات العربية مفاهيم محددة للعب، والغالب أن الحديث عن اللعب جاء في سياق الحديث عن التربية. ففي كتاب (إحياء علوم الدين) (ج ٣، ص ٥٩) يذكر الإمام أبو حامد الغزالي ما يلي: (ويعود الولد - في بعض النهار - المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل).

وفي موضع آخر يقول: (وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً، يستريح إليه من

تعب المكتب بحيث لا يتعب من اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه بالعلم يميّت قلبه ويبطل ذكائه وينقص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً).

وفي كتاب (القانون) يذكر الغزالي ما يلي: (وإذا انتبه الصبي من نومه فالأحرى أن يستحم، ثم يخلّي بينه وبين اللعب ساعة، ثم يطعم شيئاً يسيراً، ثم يطلق له اللعب وقتاً أطول، ثم يستحم ثم يتغذى. وإذا بلغ ست سنوات، فيجب أن يقدم إلى المؤدّب والمعلم ويدرج أيضاً في ذلك، فلا يحمل على ملازمة الكتاب كرة واحدة، ويتقدم السن ينقص من إجماعهم ويزاد في تعبهم) (ج ١، ص ٧٩).

وفي المجتمع الإسلامي فإن الطفل وإلى عمر سبع سنوات ينبغي أن لا يُحمّل أي مسؤولية ويجب أن يترك حراً يلعب ويركض ولكن يمكن في الوقت ذاته أن يرشده المربي ويوجه لعبه ويوظفه بشكل هادف وفعال فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): (دع ابنك يلعب سبع سنين ويؤدّب سبعاً وألزمه نفسك سبع سنين فإن أفلح وإلا فإنه لا خير فيه) (سفينة البحار مادة: (ولد)).

أما أفلاطون فإنه قال إن للعب قيمة علمية، ويتضح ذلك من خلال مناداته، في كتاب (القوانين)، بتوزيع التفاحات على الصبية، لمساعدتهم على تعلم الحساب، وبإعطاء أدوات عمل واقعية مصغرة لأطفال سن الثالثة الذين كان عليهم أن يصبحوا بنّاءين في المستقبل. وكان أرسطو يعتقد أن الأطفال ينبغي أن يشجعوا على اللعب بما سيكون عليهم أن يفعلوه بشكل جدي كراشدين.

اللعب نوعان

وقد قسم العلماء اللعب إلى نوعين: اللعب المنظم، واللعب العفوي أو التلقائي، الذي لا يتضمن الفوائد المطلوبة كما هو حال اللعب المنظم. ففي اللعب التلقائي، يحصل الطفل على بعض الخبرات العرضية، التي تبقى رهن الظروف المحيطة به، وربما تكون مفتقدة إلى القيم التربوية والإيمانية، وأحياناً تؤدي إلى حصول الطفل على انطباعات خاطئة غير صحيحة وتصورات مشوهة.. وبالتالي انحراف المسار النمائي للطفل والتوجه وجهة سلبية وهنا يمكننا أن نلاحظ اكتساب الطفل بعض العادات السيئة من خلال مشاركته اللعب مع أطفال آخرين كالألفاظ البذيئة أو التصرفات الخاطئة.

أما بالنسبة إلى اللعب المنظم الموجه فإنه يسير وفق خطة موضوعة بعناية، مع مراعاة خصائص النمو وميول الأطفال، فهو يؤدي إلى نمو طفل سليم ومتوازن.. بالإضافة إلى الفوائد التربوية الجمة.

واللعب المنظم، يمكن استخدامه كوسيلة تربوية لإيصال أهداف ومفاهيم تربوية ومعلومات وقيم محددة إلى الطفل، حيث بيّنت بعض الدراسات التربوية أن الأطفال الذين شكل اللعب جانباً هاماً من نشاطاتهم المدرسية قد تفوقوا على الأطفال، الذين لم تُتَح لهم فرصة اللعب، أو لم يُستفد من اللعب كوسيلة تربوية أثناء تعليمهم.

وقد تجلّى تفوق الأطفال في قدرتهم على التعبير عن آرائهم وعما يجول في داخلهم من أفكار، إضافة إلى ارتفاع مستوى مهاراتهم في جمع وإعداد الأشياء، فضلاً عن زيادة مخزونهم من المفردات اللغوية..

الألعاب .. أهدافها وأسسها

يعتبر اللعب عامل مهم في قوة وتماسك أعضاء البدن وكذلك يعطي الطفل الفرصة اللازمة للتعبير عن

مشاعره وتنمية عواطفه. ولا ننسى الدور الكبير للعب في تنمية الطفل اجتماعياً وعقلياً وأن محاولة الطفل حل المشاكل التي تواجهه خلال اللعب ستساعده على حل ما يقابله من مشاكل في حياته اللاحقة. وقد لا يكون للعب هدف معين ولكنه سوف يحقق عدة أهداف اجتماعية وعاطفية وعقلية وجسمية حيث أن اللعب يعمل على تقوية عضلات وأعضاء الطفل ويخرجه من حالة العزلة والجمود وينمي لديه روح الإخاء والتعاون والصدقة. ومن هذه الأهداف أيضاً إرضاء دوافع الطفل وحاجاته النفسية كالحرية والنظام وكذلك تهيئة الطفل لاكتساب مقدرات عديدة منها التلقي والتعليم وتنمية أدوات الرموز واللغة والحركة وكذلك فصح المجال للطفل للتعبير عن احتياجاته وميوله ورغباته، وتمكينه من التعرف على واقعه النفسي والسيطرة عليه.

التنمية الذهنية بالألعاب

وللعب بالألعاب تأثير بالغ في تطوير قدرات وطاقات الطفل العقلية والإدراكية ولها ميزات مهمة منها تنمية قدرة الطفل على الفهم وكذلك تنمية قدراته على التفكير المستقل وربما توفير فرص الابتكار والإبداع لدى الصغير.

اقتراحات لاختيار اللعب

لدى الأطفال حافظ فطري للعب، وهو يشكل جزءاً مهماً من حياتهم فاللعب هو الوسيلة للوصول إلى عالمهم الخاص للاستكشاف والتخيل. واللعب بالألعاب يحول العالم إلى عالم بحجمهم وهو عالم يستطيع الطفل أن يديره ويسيطر عليه. فهو ينمي العضلات وينسقها، ويعزز الألفة بين الأولاد، ويؤطر الحدود بين الواقع والخيال، ويساعدهم على أن يتعلموا الاتصال ببعضهم، ويتبادلوا الأدوار، ويشاركوا بالألعاب. واللعب يحرك الخيال ويمنح خبرات عديدة في حل المشاكل.

لا يمكن أن نلغي دور اللب المصنعة فقد تكون مناسبة ومرغوباً بها. وإذا رغبت العائلة في اختيار اللعبة فعليها مراعاة النقاط التالية:

١ - هل تثير اللعبة فضول وخيال الطفل؟ وإن لم يكن هذا فإنه سيلهو بها قليلاً ويتركها بعد ذلك. فقد تبدو اللعبة مبهرة في الإعلان التجاري التلفزيوني بالنسبة للطفل، ولكن يجب الانتباه إلى أن هذا إعلان ودعاية لترويج هذه اللعبة بسرعة، وقد يتجاوب الولد بالطريقة نفسها. فحاولوا مراقبته في اللعب أو في متجر اللعب. إلى أي نوع من الألعاب ينجذب؟

وقد يشعر الأهل أن لا قيمة للعبة إلا إذا كانت تنمي القدرات العقلية لدى الطفل، إلا أن هذا لا يمنع من أن يتعلم الأولاد من كل اللعب التي يلعبون بها. والمهم هو الاستمتاع في اللعب وبطرق مفيدة لهم.

٢ - هل اللعبة ملائمة لقدرات الطفل الجسدية والعقلية؟ أحياناً لا يكون الطفل ماهراً وصبوراً بما فيه الكفاية ليستعمل لعبة معينة، ولكن يمكن أن يميل الوالدان إلى شرائها لأن فيها جاذبية معينة تثير الحنين إلى الماضي.

٣ - تعليم الأطفال على أن يكونوا متسوقين أذكياء. وذلك أن تجلبوا انتباه ولدكم إلى كون اللعبة التي اختاروها مصنوعة بغير إتقان أو مروجة بطريقة خادعة. ويصبح الأولاد مستهلكين حاذقين أكثر عندما يدفعون هم المال عوضاً عن الأهل.

٤ - يجب أن تثير اللعبة خيال الأولاد بطرق إيجابية وليست سلبية، تجنبوا اللعب المخيفة، التي قد تعزز العنف بوضوح، ومع أنه قد لا ينتبه البعض إلى العنف في بعض الألعاب فإن البعض الآخر أحياناً يسير على معتقداتهم الخاصة عوضاً عن التسبب بإغظة الولد، ولكنهم بذلك قد يتسببون بأذى كبير للولد، فعندما نعطي اللعب للأولاد، فمعناه أننا نؤيد ما تمثله اللعبة.

المصادر

- ١ - العربي، العدد (٤٦٦) سبتمبر ١٩٩٧م.
- ٢ - البلاد، العدد ٣٤.
- ٣ - العربي، العدد (٤١٩)، أكتوبر ١٩٩٣.
- ٤ - تربية الطفل وفقاً لآراء ابن سينا والغزالي والطوسي. الدار الإسلامية.

ركن الأسرة

التخلف العقلي (الإعاقة)

الأسباب والأعراض

الدكتور: سعد الأمانة

شكلت الإعاقة وأنواع التخلف أحد أهم الإحباطات والضغط المستمر التي تواجه الأسرة أولاً، ومن ثم المعنيين بدراساتها ووضع الحلول الممكنة لها، كالأطباء والأخصائيين النفسيين والتربويين والمعالجين والأخصائيين في التأهيل، وعبر مراحل النمو المختلفة التي يمر بها... فهي معاناة لا توصف من حيث الجانب الإنساني، وهي أيضاً امتحان حقيقي للأب والأم معاً، أو لأفراد الأسرة الآخرين..

ومهما بلغ الدعم المقدم لأسرة المعاق من مؤسسات خيرية أو مراكز مهتمة بالعوق، لا يمكن أن يخفي هذه المأساة، ولكن بقدر ما يخفف من شدتها، وقبلها، حتى بات المعالجين النفسيين يضعون بنظر الاعتبار طريقة علاجية خاصة لقبول حالة مريض النفس أو مريض العقل أو حالات العوق والتخلف العقلي، وسمي هذا الجانب من العلاج النفسي بـ(العلاج العائلي) ويقوم أساساً على كيفية اقتناع الأسرة بوجود طفل متخلف بين أفرادها، وضرورة إحساسه بأنه أحد أفراد هذه الأسرة، وليس عبئاً ثقيلاً عليها، فقبوله على حالته الحالية في الواقع، وبما هو عليه يعد امتحاناً إلهياً للتحمل وصبر هذه الأسرة، إنما هو خدمة مضاعفة يقدمها الأبوان (الأب والأم) أو بديلها إلى المعاق ما دام على وجه الحياة يعيش ويمشي وينتقل.

فعلى الرغم من البعد الديني، والبعد الإنساني، يكمن المشروع الأهم في ذلك هو (معايشة الإعاقة) (١) بكل معانيها الدينية والإنسانية، وهي تشكل مشروعاً إنسانياً لمعايشة حالة العوق في الأسرة وضرورة التكيف معها بكل تلك الأبعاد، وربما فاقتها من حيث الخدمة المقدمة للمعاق على مدى قوة العوق (الإعاقة) لدى الطفل. وسنعرض خلال هذه الصفحات تعريفات متخصصة للإعاقة (التخلف العقلي) ويسمى المريض (الطفل غير العادي)، أو الأطفال ذوي الحاجات الخاصة، كذلك المشكلات الناجمة عنها من حيث نتائجها وأسبابها.

تعريفات علمية للعوق (التخلف العقلي) (الطفل غير السوي)

يعرف (جروسمان) الإعاقة أو الضعف العقلي أو التخلف العقلي (تعريف الرابطة الأميركية للضعف العقلي) بأنه: حالة عامة تشير إلى الأداء الوظيفي المنخفض بشكل واضح في العمليات العقلية، وتوجد متلازمة مع

١ - التخلف العقلي في محيط الأسرة، محمد السيد حلاوي، مجلة الثقافة النفسية، العدد الثامن والثلاثون. شباط

أشكال من القصور في السلوك التكيفي، ويظهر ذلك من خلال الفترة الثمانية النمائية في حياة الفرد (٢).
بينما يعرفها (كيرك) وهو أحد المختصين الأوائل في هذا المجال، وله أبحاث ودراسات عملية كثيرة لحالات مختلفة، فيعرف الطفل غير العادي على أنه: ذلك الطفل الذي ينحرف عن الطفل العادي أو الطفل المتوسط في:

١ - الخصائص العقلية.

٢ - القدرات الحسية.

٣ - الخصائص العصبية أو العقلية أو الجسمية أو..

٤ - السلوك الاجتماعي والانفعالي أو..

٥ - قدرات التواصل أو..

٦ - جوانب قصور متعددة إلى الحد الذي يحتاج فيه الطفل إلى تعديل في الخبرات التعليمية أو إلى خدمات تعليمية خاصة بهدف تحقيق أقصى حد ممكن من النمو (٣).

أما (جيرهارت) فيعرف الطفل غير العادي بقوله: يعتبر الطفل طفلاً غير عادي إذا كانت حاجاته التعليمية والتربوية من نوع يختلف عما يتطلبه الطفل العادي أو المتوسط بحيث لا يمكن تعليمه بصورة فعالة أو مؤثرة دون توفير برامج تعليمية وتسهيلات ومواد ذات طبيعة خاصة (٤).

الأسرة والطفل المعاق

قبل أن نخوض في غمار أنواع وأعراض وأسباب الإعاقة أو التخلف العقلي بمدياته البسيطة والشديدة أو أسبابه المتعددة، ونشأته، نطرح بعض الإرهاصات المصاحبة بوجود طفل معاق في الأسرة.. وما هي الحالة الانفعالية، أو الإرهاصات التي تزلزل كيان الأسرة في تكوينها وأسس تربيتها، وطريقة التعامل مع الواقع المؤلم أحياناً داخل الأسرة، أو مع المحيط الاجتماعي، باعتبار البيئة الاجتماعية التي تنظر إلى الشخص المعاق نظرة عطف واستدرار لمشاعر الشفقة، وتساؤلنا المهم إزاء ذلك: ما الذي يحدث داخل هذه الأسرة التي أنجبت طفلاً معاقاً؟

إن واقع الحال الذي فرض على هذه الأسرة كوجود طفل غير اعتيادي استوجب ملاحظة ما يلي:

١ - وجود أزمة حقيقية تعيشها الأسرة.

٢ - مراحل الأزمة مرتبطة بولادة طفل معوق.

٣ - المشكلات الناجمة لدى الأسرة مرتبطة بالإعاقة والبحث عن الأسباب الوراثية أو التكوينية (خلال فترة الحمل).

٤ - الضغط النفسي الداخلي للوالد والوالدة فضلاً عن البيئة والقيم الاجتماعية ومشكلات وجود طفل معوق

داخل الأسرة.

٢ - سيكولوجية الأطفال غير العاديين، ج٢، فتحي السيد عبد الرحيم، دار القلم، الكويت (١٩٩٠) ص ٣٤.

٣ - سيكولوجية الإعاقة، فتحي السيد عبد الرحيم وحليم السعيد بشاي، دار القلم الكويت (١٩٩٢) ص ١٧.

٤ - نفس المصدر، ص ١٧.

هذه الإرهاصات يعايشها الأهل ولا يدرك مدى شدتها من لاحظها خارج نطاق الأسرة، وإنما من عاش دقائقها المريرة يومياً وعلى مدار حياة الأسرة بأكملها، فليست هي لحظة حزن عابرة، أو خلل مرضي سرعان ما ينتهي بالعلاج لدى إحدى المستشفيات أو المراكز الطبية المتخصصة، إنما هو التزام عاطفي وقيمي وديني إزاء حالة طفل معاق في الأسرة، ربما كانت تعيش تلك الأسرة هانئة قبل ولادة هذا الطفل، وربما رتبت حياتها على نمط أكثر استقراراً واتزاناً، إلا أن وجود (ولادة) طفل معاق خلف أزمات غير متوقعة، يصعب التعامل معها في البداية، ولكن قدرة الكائن البشري على التكيف واستيعاب الآلام، هي من صفات الإنسانية، وهو الحل الأمثل لمعايشة الواقع مع وجود هذا الطفل المعاق. لذا فإن قبول الحالة في البداية لن يكون سهلاً أو أمراً مقبولاً كما يتوقع الآخرون، فقد يلاقي هذا الطفل المعاق رفضاً قوياً من أحد الأبوين، يصل أحياناً إلى إنهاء حياة الطفل، لذا فإن الرضوخ في النهاية هو الحل الأمثل والتكيف مع الواقع وإن كان مؤلماً.. فقبول الأمر الواقع ليس معناه انتهاء المشكلة، وإنما ابتداء المشكلة.. وبداية وضع الحلول التي تجعل الأسرة تسير ضغوط جديدة غير متوقعة، وحسب شدة التخلف أو العوق.. فكثيراً ما تبحث الأسرة عن متخصص في الإرشاد النفسي يعرفها ويشرح لها كيفية التعامل مع حالات العوق وبمختلف أنواعها، واستخدام الأساليب المهنية المتخصصة في مواجهة التدهور وأحياناً الانفعالات المصاحبة لبعض حالات العوق الشديدة، كحالات الصراع المفاجئ أو الدوري.

أنواع التخلف العقلي

مثلاً يختلف المختصين في إيجاد تعريف محدد للعوق أو التخلف العقلي أو ما يطلق عليهم أصحاب الحاجات الخاصة، هناك اختلاف أيضاً في تصنيف الأنواع، فمنذ أن وضع (الفرد بينيه) عالم النفسي الفرنسي، في أوائل القرن العشرين تصنيفات رئيسة لم تكن محددة تماماً، إلا أنها عُدَّت الأساس الذي سار عليه علماء النفس والأطباء الاختصاصيون في تحديد نسب التخلف العقلي ونسب الذكاء ودرجاتهما ومن ثم وضع بعض العلماء تصنيفات متعددة إلا أن معظمها تتفق مع هذه التصنيفات التي نطرحها وهي:

التخلف البسيط

وهم ذوي المستوى المنخفض من الذكاء والذين يمتلكون قدرات بسيطة قابلة للتعلم، وبإمكانهم أن يتواصلوا مع المجتمع، وأن يحققوا حياة مستقلة ومتكيفة، ولو محدودة، وعادة تكون نسب ذكائهم تتراوح من (٥٠ - ٨٥). وتُعد هذه الدرجة من الذكاء ضمن فئة الحدود الفاصلة بين الأسوياء وغير الأسوياء. فعادة تشخص مقاييس الذكاء متوسط الذكاء عند عامة الناس من (٩٠ - ١١٠) على وفق مقاييس الذكاء المستخدمة حسب البيئة المحلية. وما وقع دون مستوى الـ (٩٠) درجة يعد ضمن فئة التخلف البسيط، ثم بالتدرج إلى حالات التخلف الأخرى التي سنوردها في هذه الدراسة، أما إذا زادت نسبة الذكاء على مستوى الـ (١١٠) درجة فقد عُدَّت ضمن فئة التفوق العقلي أو الموهبة العقلية وتصدت تدريجياً إلى حالات الذكاء العالي والعبقرية، ولم تسجل حتى الآن درجات عليا على مقاييس الذكاء العاملة أكثر من (١٥٠) درجة و(١٦٠) درجة ولا يتجاوز العدد أصابع اليد الواحدة منذ ظهور حركة القياس النفسي وتطور الاختبارات النفسية في ثلاثينيات القرن العشرين.

التخلف المتوسط

تتميز هذه الفئة بقابليتها على التربية والتعلم، وبالإمكان تحقيق استقلالية جزئية بعد فترة تأهيل، أي أنها بحاجة إلى التأهيل ثم ممارسة حياتهم العملية والاندماج في المجتمع. وتحاول هذه الفئة القيام بأعمال بسيطة جداً لا ترقى إلى العمل الجيد والإمكانات العقلية، وإنما تحدد في الأعمال الميكانيكية الروتينية البحتة، مثل تعلم مهنة النجارة أو الحدادة، أو القيام بالأعمال (الخدمية) غير القابلة للتطور، وتتراوح نسبة ذكاء هذه الفئة ما بين (٣٥ - ٤٩) درجة على وفق مقاييس الذكاء المختلفة.

وترافق بعض الاحتياجات لهذه الفئة من المعوقين، وكذلك بعض المظاهر السلوكية، منها ضعف قدرتهم الحركية بشكل طبيعي، أي بطيئة الحركة وأحياناً تكون ثقيلة. وبصاحبها حالات من الصرع أو حالات أخرى مثل وجود اضطرابات في الغدد الصماء أو السلوك العام. ويمكن ملاحظة تلك الأعراض والمظاهر ببساطة من قبل الآخرين، ويستطيع المعاق ضمن هذه الفئة تمشية أمور حياته العامة ذات القدرات البسيطة والتي لا تحتاج إلى إبداعات أو تفاعلات اجتماعية معقدة.

التخلف الشديد

هذه الفئة من تصنيفات التخلف العقلي أو ذوي الحاجات الخاصة، تتميز بشدة الإعاقة، وتتطلب تدخل أو مساعدة خارجية (الأهل أو القانمين) على عملية التأهيل، وتتراوح نسب الذكاء ما بين (٢٠ - ٣٤) درجة. وتكاد الخدمات المقدمة لهذه الفئة على درجة عالية من الاهتمام، حيث من الصعب تعلمهم في مدارس خاصة، لها مناهج للمعوقين، أو تأهيلهم لغرض تعلم مهنة ولو بسيطة، فوجودهم مع أسرهم أو مراكز التأهيل لخدمتهم فقط. وهناك فئة أكثر تخلفاً أو عوقاً، وتصنف على النحو التالي من حيث نسب الذكاء:

أقل من (٢٠) درجة: وهم شديداً التخلف وبحاجة مستمرة ودائمة لتقديم الخدمات والاحتياجات، وبدون هذه الخدمات لا يستطيع الطفل المتخلف ممارسة حياته. حتى تصل الخدمة إلى حملة أو مساعدته على ذلك.. فضلاً عن الضعف العقلي العام. أي فقدان السيطرة العقلية أو استخدام العقل للتحكم بالعضلات عصبياً أو جسدياً. وهناك تصنيف آخر للإعاقة وفق المنظور الفرنسي الذي يبدأ بنفس مستويات الذكاء ودرجاته، ولكن تختلف تسميته وهي:

المعتوه: وهو الشخص الذي يعاني من إعاقة عقلية (ذهنية) كبيرة مع عجز في الأجهزة الحسية والحركية والغريزية وغياب اللغة والتفكير والجانب الإنفعالي أمام موضوعات الحياة العامة.

الأبله: وهو الشخص الذي يستطيع استخدام بسيط للتفكير والمعارف والذاكرة، ويستطيع حل بعض المسائل البسيطة، ويستطيع الكلام وتعلم عادات النظافة، ولكن غير قادر على الالتحاق بالمدارس.

البيني: وهي حالة تتميز بوجود قدرة على التعلم، مثلاً تعلم القراءة والحساب والمعلومات العامة وآداب التعامل والأمور الحياتية العامة، وبالإمكان اندماج الشخص من هذه الفئة مع المجتمع ولو بشيء بسيط وروتيني مع وجود التوجيه والإرشاد المستمرين..

أسباب التخلف العقلي

نستطيع إيجاز أسباب التخلف العقلي (الإعاقة) بأنواعها المتعددة إلى ما يلي:

أولاً: التخلف العقلي الأولي

وينقسم إلى:

أ - التخلف العقلي الجوهري (الأساسي)

ب - التخلف العقلي بسبب إصابة الدماغ وتكون على الشكل التالي:

- صغر الدماغ : وهي حالة تبدو ظاهرياً واضحة، ويترافق معها عيوب المخ مع نقص في وزن الدماغ وربما له أصل وراثي في العائلة.

- كبر الدماغ: ويقصد به حجم الدماغ المتزايد وكبره، وتظهر أعراض مرضية مصاحبة منها وجود الصرع وأحياناً بدون حالات الصرع.

- استسقاء الدماغ: ويعني تجمع السائل الدماغي في تجاويف الدماغ أو في المساحات القشرية، وتسبب من الناحية السلوكية، فوضى واختلال جسدي، مع رفض للطعام، أو تغير في مواعيد النوم واليقظة مع نوبات من الفتور والنشاط.

ج - التخلف العقلي لأسباب تكوينية على مستوى:

١ - الكروموزومات.

٢ - الجينات.

٣ - الاضطرابات الأيضية

ثانياً: التخلف العقلي الثانوي

وتنقسم عوامله إلى:

أ - العوامل المؤدية إلى التخلف قبل الولادة وهي:

- الإصابة بالأمراض المعدية: مثل إصابة الدم بمرض خلال فترة الحمل مثل السفلس أو الأمراض الزهرية المنقولة، وأعراضها عادة يمكن ملاحظتها كوجود تقرح، أو طفح جلدي، أو التهابات حشوية باطنية، تؤدي إلى تلف الأنسجة العصبية.

- الالتهابات والتسممات: وتنتج عادة من تناول الكحول (الزوج والزوجة) وتظهر أعراض التخلف على الطفل.

- تناول الأدوية أو المخدرات: مثل تناول أدوية منع الحمل أو الأدوية المسببة للإجهاض أو تناول المخدرات التي تصل إلى الجنين وتسبب حساسية خاصة تؤدي إلى التخلف العقلي.

- التعرض للإشعاعات: تحدد بحسب كمية الإشعاعات التي تتعرض لها الأم، وفترة سن الجنين.

ب - العوامل المؤدية إلى التخلف خلال الولادة وهي:

الهلع (الخوف البالغ الشدة) - صعوبة الولادة - .

وهي حالات الخوف والهلع المصاحبة للولادة، أو طول فترة الولادة (الطلق) أو قصرها مع شدة الآلام.

- نقص الأوكسجين في الدم: وهي حالة ولادة الطفل على مقعده بدلاً من رأسه، كذلك استنشاق السائل

الأمنيوتي، أو ضغط الحبل السري على عنق الوليد أو نقص سريع في نشاط الدورة الدموية.

ج - العوامل المؤدية إلى التخلف بعد الولادة وهي:

أسباب عضوية: التهابات، تسممات، هلع دماغي، إصابات دماغية أسباب نفسية.

- نقص أو اضطراب العلاقة مع الأم.

- الإقامة الطويلة في المستشفيات (داء المصححات) (٥).

ثالثاً: أعراض تتزامن وتترافق مع التخلف العقلي

مثل الجروح الدماغية والشلل الدماغي.

رابعاً: سوء تغذية الأم وإنعكاسه على الطفل (التخلف العقلي)

٥ - الطفل المتخلف في المحيط الأسري والثقافي، منى فياض، معهد الإنماء العربي، بيروت (١٩٩٣) ص ٦٩.

شبهات وردود

الاجتهاد عند الشيعة وسائر الفرق الإسلامية

نزار مصطفى

اختلف المسلمون في مصطلح الاجتهاد منذ بداية ظهوره، وقد تطور مفهوم الاجتهاد عبر العصور، حسب تطور رؤية الفقهاء في تفسير النصوص الدينية وهذا الاختلاف والتطور شمل رؤية كل من فقهاء الشيعة والسنة على السواء. فكان لمفهوم الاجتهاد رؤية خاصة لدى الفقهاء الأوائل من الشيعة، يختلف عما لدى الفقهاء المتأخرين. ولم يشمل الاختلاف مفهوم الاجتهاد بذاته وحسب، بل شمل شروطه ومقدماته ومسائله وأدواته.

ومن تعريفات الفقهاء المتأخرين للاجتهاد ما قاله السيد الخوئي (قدس سره) بأنه استفراغ الوسع في تحصيل الحجة على الأحكام الشرعية أو تعيين الوظيفة عند عدم الوصول إليها(٦).

أما الإمام الشيرازي (دام ظله): (فيرى أن الاجتهاد ملكة تحصل من كثرة النظر في الأسباب المؤدية إلى الأحكام الشرعية) (٧) وهناك تعاريف أخرى لفقهاء السنة يقترب من هذا المعنى.

ونعتقد نحن الشيعة أن الاجتهاد في الفروع واجب كفائي. أي أنه إذا تصدى له أحد من المسلمين سقط الواجب عن الباقيين. أما الأصول فلا يجوز فيها التقليد بل يجب على الإنسان أن يجتهد بنفسه في الأمور الاعتقادية.

وكما أن للاجتهاد شروطه وأدواته ووسائله في معرفة الأحكام الشرعية كذلك يكون للمجتهد شروط كي يحصل على درجة الاجتهاد وإصدار الفتاوى.

ومن عقيدتنا أن الاجتهاد المتعارف عليه حالياً والذي عرفناه فيما تقدم، بدأ في بداية مرحلة الغيبة الكبرى لإمامنا أرواحنا فداه، لانتهاج عصر النص على يد فقهاءنا الأعلام الأوائل كالشيخ الصدوق والشيخ الطوسي.

أما أهل السنة فيعتقدون أن الاجتهاد بدأ في عصر التابعين، ومنهم من يرى قبل ذلك، ومنهم من يرى بعد ذلك. وهذه الأقوال والآراء منهم نظرت إلى الاجتهاد بغير الصورة التي عرفناها فيما تقدم.

أما التقليد: ففي اللغة مأخوذ من القلادة التي يقلد الإنسان غيره بها. ومنه يكون المُقلدُ جاعلاً للحكم الذي قلّد فيه المجتهد كالقلادة في عنق من قلده (٨). ويقول السيد الشيرازي وهو إطلاق من باب تشبيه المعقول

٦ - عن كتاب شبهات حول الشيعة ص ١٩٦.

٧ - الأصول للسيد الشيرازي ص ٣١٩.

٨ - قاموس البحر المحيط ج ٦ ص ٢٧٠.

بالمحسوس، وهذا المجاز أقرب من مجاز (قلده المنصب) مثلاً، إلا إذا أريد تقليد عنقه ومعناه أن العامي يجعل القلادة في عنق مجتهد وربما يقال العكس، لأن الثاني يقلد الأول آراءه. وهو محاكاة عمل الغير الخارجي أو الجانحي ولا يستلزم الدور كما قيل، أما أنه أخذ أو التزم أو عمل مشابه بدون القصد فليس من التقليد في شيء (٩).

التساؤل الأول: ما هي الشروط التي يجب أن تتوفر في الفرد كي يصبح فقيهاً يمكن تقليده؟
الجواب: هناك شرطان: ذاتي، وكسبي.

فالذاتي هو مجموعة الشروط التي تتوفر في ذات الإنسان كي يصبح فقيهاً يجوز تقليده. وهي الإسلام، وطهارة المولد (أي لا يكون ابن زنا)، والإيمان والعدالة، والعقل، والبلوغ والحياة والرجولة. وأضاف بعض المتأخرين من الفقهاء شرط الأعلمية، وهو اتباع أعلم الفقهاء في أخذ الأحكام الشرعية.

أما الكسبية وهي العلوم التي يجب تحصيلها لبلوغ مرتبة الاجتهاد. وهي:
علم الكلام: والمعتبر منه ما يعرف به الإنسان ربه وصفات الله الجلالية والكمالية وعدله وحكمته والنبوة ودليل عصمة النبي (ص) كي يحصل الوثوق بقول النبي (صلى الله عليه وآله).
علم الأصول: والمعتبر منه ما يعرف به أدلة الأحكام من الأمر والنهي والعام والخاص، وغيرها من الأمور المذكورة في كتب الأصول.

علم النحو والصرف: والمعتبر منه معرفة ما يختلف به معنى الكلمة باختلافه ليحصل بسببه معرفة المراد في الخطاب.
علم اللغة: والمعتبر منه ما يفهم به كلام الله المنزل وكلام الرسول، إما بحفظه أو الاحتفاظ بما يرجع إليه عند الحاجة.

وكذلك يجب أن يكون على إحاطة بالأدلة الأربعة وهي: الكتاب والسنة والإجماع والعقل.
التساؤل الثاني: ما هي أدلة استنباط الحكم الشرعي؟

الجواب: توجد عند الشيعة أربعة أدلة أصولية كمصدر للتشريع، وهي الكتاب والسنة والإجماع والعقل.
أما أهل السنة فموارد الأدلة في الأصول لديهم عديدة، حيث يذكر القرافي المالكي في كتابه (تنقيح الأصول) أصول مذهب مالك ويعددها كالاتي: القرآن والسنة والإجماع، وإجماع أهل المدينة وقول الصحابي، والقياس، والمصالح المرسلة، والعرف والعادات، والاستحسان، وسد الذرائع، والاستصحاب.
وحاول الشاطبي في كتابه (الموافقات) أن يرد أدلة المذهب المالكي إلى أربعة: جامعاً فيها النص والاجتهاد معاً، فهو يرى أن هذه الأدلة عبارة عن الكتاب والسنة والإجماع والرأي، معتمداً أن مالكا كان يرى أن (السنة) متضمنة لكل من عمل أهل المدينة وقول الصحابي، وأن لفظة (الرأي) تتضمن كل من المصالح المرسلة والقياس والاستحسان والاستصحاب وسد الذرائع والعادات).

أما الطوفي الخبدي فيحصى الأدلة بين علماء أهل السنة عموماً فيجدها لا تزيد على تسعة عشر دليلاً.
وكما ترى هناك فارق كبير بين أدلة الشيعة والسنة، فنحن الشيعة نرى بطلان العمل بالقياس والرأي لورود

أحاديث تحرم هاتين الطريقتين في الاجتهاد.

التساؤل الثالث: لم تبطلون العمل بالقياس وقد وردت روايات تدل على مشروعيته؟

الجواب: نعم وردت بعض الروايات استدلت بها فقهاء السنة على أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يعمل بالقياس في تشريع الأحكام. منها ما استدلت بما روي عن عمر بن الخطاب من أنه سأل النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: إني اليوم - وهو يوم صيام - أتيتُ

أمراً عظيماً فقال (صلى الله عليه وآله): وما ذاك؟

فقال: هششت إلى امرأتي فقبلتها.

فقال (صلى الله عليه وآله): رأيت لو تمضمضت بماء ثم مججته أكان عليك جناح؟ قال: لا. قال (صلى الله عليه وآله): فلم إذن (١٠). إذ قيل أن في هذا النص دلالة على القياس، حيث قاس النبي (صلى الله عليه وآله) مقدمة الجماع على مقدمة شرب الماء. فمثلاً أن المضمضة لا تفسد الصوم كذلك فإن القبلة لا تفسده أيضاً.

وعلى فرض صحة هذا الحديث فمع ذلك ليس فيه دلالة تقضي بأن ما حكم به النبي (ص) إنما يعود إلى القياس، فكل ما في الأمر هو أن النبي شابه بين الأمرين للإيضاح لا التشريع، حيث أن حكم القبلة لربما كان معروفاً وجهله عمر وأراد النبي (ص) أن يشابه بين حكمين مشروعين لتقريب المعنى.

كما في الحديث الذي رواه بن عباس منه أنه: سألت النبي (صلى الله عليه وآله) الجارية الخثعمية وقالت إن أبي أدركته فريضة الحج شيخاً زَمناً لا يستطيع أن يحج، إن حججت عنه أينفعه ذلك؟ فقال لها: رأيت لو كان على أبيك دين قضيته أكان ينفعه ذلك؟ قالت: نعم قال (ص): فدين الله أحق بالقضاء (١١).

فهذه المرأة لم تكن تعرف الحكم الشرعي إزاء قضاء الحج عن والدها، لذلك قرب لها النبي المعنى لكي تكون على بينة من الأمر لتشابه الأمرين في مسألة الدين.

وهذا ليس من القياس، لأن القياس هو استنباط حكم شرعي لقضية لا نص فيها بالاستدلال بقضية أخرى فيها حكم مشروع، وهذا باطل كما صرحت به الأحاديث لأنه من الرأي.

التساؤل الرابع: وما هي هذه الأحاديث؟

الجواب: نقل عن الصحابة والتابعين الكثير من النقد، والاعتراض على الأخذ بالرأي والقياس، ولو بشكل مجمل، منها ما روي عن أبي بكر قوله: (أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله برأيي).

وعن الإمام علي قوله (لو كان الدين بالقياس لكان باطن الخف أولى بالمسح من ظاهره).

وعن ابن سيرين قوله: (أول من قاس إبليس، وما عبّدت الشمس والقمر إلا بالقياس).

وعن سروق صاحب ابن مسعود قوله (إني لا أقيس شيئاً بشيء إني أخاف أن تزل قدمي).

وهناك الكثير من الأخبار الذي تلزم الأخذ بالرأي والقياس (١٢).

١٠ - الأحكام للآمدي، ج ٣ ص ٢٢٨، والمستصفى ج ٢، ص ٣٥٤، ابن حزم ملخص أبطال القياس والرأي ص ٢٢٨.

١١ - المعتمد ج ٢، ص ٧٣٥، ملخص أبطال القياس والرأي والاستحسان لابن حزم ص ٢٥.

١٢ - الأحكام في أصول الأحكام ج ٦ ص ٤٩ - ٥٩، الاعتصام ج ٣ ص ٢٤١ - ٢٤٩، أعلام الموقعين ج ١، ص

التساؤل الخامس: أورد أهل السنة عن النبي عدة روايات استدلوا بها على اجتهاد الصحابة فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله (اجتهدوا فكلّ ميسر لما خلق له) لكن دلالة هذه الرواية مجملة لا تؤكد المعنى المتواضع عليه من مفهوم الاجتهاد.

كما روي عن النبي (ص) قوله: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد). وهذه الرواية إن صحت فهي من موارد القضاء بالأحكام بين المتنازعين وليست من موارد الاجتهاد.

مثل ما روي من أن النبي (صلى الله عليه وآله) طلب من عمر بن العاص أن يحكم في مسألة فقال: أجتهد وأنت حاضر يا رسول الله؟ قال: نعم إن أصبت فلك أجران وإن أخطأت فلك أجر.

فالمسألة واضحة في كونها أمور تخص القضاء في المتنازعات بين الناس وليست من الاجتهاد التي بمعنى إصدار الفتاوى لأنها لو كانت كذلك لأصبح الأمر تجاوزاً على مقام النبوة.

الجواب: ونقول أن الأحاديث التي جاء بهذا المنحى وهي قول النبي (ص) أن المجتهد إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ له أجر، هي أحاديث آحاد لم تثبت صحتها سنداً وتاريخاً، وهي موضوعة لتبرير أعمال بعض الصحابة الذين لا يمكن التغطية على أعمالهم الإجرامية، كعاقبة بن أبي سفيان وعمر بن العاص وغيرهم من الذين أجبوا الحروب بين المسلمين. فمعاوية في حربه ضد خليفة المسلمين علي بن أبي طالب قد اجتهد فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر.

أما دماء المسلمين فهي ليست على عاتقه، ولا على عاتق الذي جاء به إلى سدة الحكم لأنه اجتهد.

من أعلام الشيعة

الشيخ كاشف الغطاء

نزار مصطفى

لمحة تاريخية

أثبتت الأحداث التاريخية التي مرت عبر العصور، تأثر الحوزات العلمية الشيعية بالأزمات السياسية التي عصفت ببلاد المسلمين، حيث كانت الفترة التي عاشها الشيخ كاشف الغطاء قد مرت بأزمات سياسية جعلت الحوزة العلمية في النجف تصل إلى أدنى مستوى لها بعد أن انتعش العلم فيها قبل قرون، وذلك لحدثين هامين هزّا البلاد الإسلامية.

الأول: الحرب الطاحنة بين الحكومة الإيرانية، والسلطنة العثمانية التي استمرت لعقود طويلة ذاقت منها الأمة الإسلامية الويلات، وبالأخص العراق لأن معظم هذه الحروب كان مسرحها العراق للاستيلاء عليه ونهب ثرواته. مما أثر بشكل كبير على أوضاع أهل العراق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية. فقد ساد الجهل والفقر والتخلف، وانتشرت الأمراض والأوبئة التي أودت بحياة الكثيرين بالإضافة إلى قتل الحروب. استطاع الشيخ كاشف الغطاء بحكمته من إيقاف سعي هذه الحروب، وإقامة الهدنة بين الطرفين المتحاربين بعد أن سنحت الفرصة المؤاتية لها.

في أواخر سني حياة الشيخ كاشف الغطاء، وفي سنة ١٢٢١ هجرية بالتحديد توغلت جيوش الحكومة العثمانية إلى داخل الحدود الإيرانية، ف وقعت معركة كبيرة انهزمت فيها الجيوش التركية، وأسر عدد كبير منهم، فتوسط الشيخ جعفر كاشف الغطاء، لدى الحكومة الإيرانية لإطلاق سراح الأسرى. ولمكانته لدى الحكومة الإيرانية كونه مرجع التقليد وزعيم الحوزة الشيعية في النجف استطاع أن يقنع شاه إيران فتح علي شاه وابنه محمد ميرزا علي قائد الجبهة بالعفو عن الأسرى وإرجاعهم إلى حكومتهم بعد أن فشلت كل الوسائط التي استعملتها الحكومة العثمانية.

ثم كان الصلح بعد ذلك بين الدولتين على يد الشيخ موسى نجل الشيخ جعفر كاشف الغطاء، وكان لهذا الصلح الدور الكبير في استقرار الأمن في العراق، وتنفس أهله الصعداء، وبالنتيجة بث روح النشاط من جديد في الحركة العلمية في النجف الأشرف. حيث فتح الباب واسعاً أمام الهجرة الإيرانية إلى العتبات المقدسة وأمام الأموال التي كانت ترسل لتعمير العتبات المقدسة وصيانتها ولرجال الدين ومراجع التقليد.

أما الحدث الثاني الذي كان يهدد نشاط الحركة العلمية في النجف الأشرف، هو الغارات الوهابية التي كانت لا تنقطع عن كربلاء والنجف.

لقد أصبحت النجف الأشرف آمنة بفضل جهود الشيخ كاشف الغطاء الذي قام بشراء السلاح لأهلها. وأمر بتدريبهم عليه، فكانوا يخرجون كل يوم خارج البلد للتدريب. وكان حمل السلاح والتدريب عليه فرضاً دينياً للدفاع، حتى أن السيد الجليل صاحب مفتاح الكرامة السيد جواد العاملي المتوفي سنة ١٢٢٦ هجرية ألف رسالة في وجوب الذب عن النجف، وهو أحد تلامذة كاشف الغطاء المبرزين وأستاذ صاحب الجواهر، كما أن الشيخ كاشف الغطاء شجع طلاب العلم على الرياضة الدارجة في ذلك العصر، وفتح نادي رياضي يسمى قديماً (الزورخانه) في نفس داره. إلا أن تسليح أهل النجف قد أسيء استعماله بعد ذلك بوقوع الفتنة بينهم والتي سميت بفتنة (الشمرة والزكرت) المعروفة التي امتدت ردياً من الزمن يقارب المائة عام. وعلى الرغم من هذه الفتنة استمرت وتيرة النشاط العلمي في النجف الأشرف بالتصاعد المذهل حتى وصلت إلى أوجها على مدى العصور في ستينيات القرن العشرين الميلادي، حيث ساد الظلام من جديد على أرجاء العراق ولا يزال.

نسبه

هو الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر ابن الشيخ يحيى المالكي الجناحي النجفي. ولد في النجف في سنة ١١٥٤ هجرية وتوفي يوم الأربعاء عند الظهر في يوم ٢٢ رجب سنة ١٢٢٨. والمالكي نسبة إلى بني مالك إحدى قبائل العراق المعروفة التي يقطن معظمها وسط العراق والقسم الباقي في جنوبه. ويقال أنهم ينسبون إلى التابعي الجليل مالك الأشتر. والجناحي نسبة إلى إحدى القرى الواقعة على مقربة من الحلة والتي ترجع إليها أصول الشيخ.

أقوال العلماء فيه

قال صاحب روضات الجنان: كان من أساتذة الفقه والكلام وجهابذة المعرفة والأحكام معروفاً بالبسالة والإحكام، مروجاً للمذهب كما هو حقه وبيده رتقه وفتقه، مقدماً عند الخاص والعام، معظماً في عيون الأعظم والحكام، غيوراً في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقوراً عند الهزاهز والغير، مطاعاً عند العرب والعجم فصار علماً، وكان شديد التواضع واللين مع ما فيه من الصولة والوقار والهيبة والاقتدار فلم يكن يمتاز في ظاهر هيأته عند سائر الناس، أبيض الرأس واللحية في مشيبه، كبير الجثة رفيع الهمة، سمحاً شجاعاً قوياً في دينه، كثير التعلق بأبواب الملوك والحكام، وكان يرى استيفاء حق الله تعالى من أموال الناس ولو بالقوة والقهر ويصرفه إلى مستحقه بدون تأخير. ويحكي أنه كان في أول أمره في فقر شديد وأنه أجر نفسه لقضاء ثلاثين سنة من العبادة صرفها في أيام التحصيل.

أساتذته

تربى الشيخ كاشف الغطاء في عائلة علمانية، فأول دروسه كانت على يد والده الشيخ خضر، ثم درس عند الشيخ محمد تقي الدورقي من فقهاء النجف والسيد صادق الفحام، ودرس في كربلاء عند الآقا محمد باقر البهبهاني، وفي النجف عند السيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي.

تلامذته

تخرج على يديه كثير من الفقهاء المشاهير المعروفين منهم:

١ - أولاده الثلاثة، وأبرزهم الشيخ موسى الذي كان المترجم يفديه بنفسه وصنف جملة من مصنفاته بالتماسه وباسمه.

٢ - أصهاره الثلاثة على بناته وهم الشيخ أسد الله التستري الكاظمي صاحب كتاب (المقاييس)، الشيخ محمد تقي الرازي صاحب كتاب (حاشية المعالم)، السيد صدر الدين العاملي صاحب كتاب (مفتاح الكرامة).

٣ - الشيخ محمد حسن صاحب (موسوعة الجواهر)، وهو من أشهر تلامذته، وإليه انتهت زعامة المرجعية الدينية بعد الشيخ كاشف الغطاء.

٤ - الحاج محمد إبراهيم الكرباسي صاحب كتاب (الإشارات). وغيرهم من العلماء.

مؤلفاته

للشيخ كاشف الغطاء مؤلفات كثيرة منها:

١ - (كشف الغطاء عن خفيات مبهمات الشريعة الغراء) مطبوع مراراً فيه أبواب الأصوليين والعبادات إلى آخر الجهاد ثم ألحق به كتاب الوقف وتوابعه. كتبه وأهداه إلى شاه إيران فتح علي شاه. وهو من أهم مؤلفات الشيخ مدحه الكثير من العلماء وإليه يرجع لقب الشيخ ومن ثم العائلة من بعده.

٢ - (شرح قواعد العلامة) في بعض أبواب المكاسب كبير مشتمل على قواعد فقهية عجيبة.

٣ - رسالة لطيفة في الطعن على الميرزا محمد علي بن عبد النبي النيسابوري الشهير بالإخباري. سماها (كشف الغطاء عن معايير ميزرا محمد عدو العلماء).

٤ - رسالة (منهج الرشاد لمن أراد السداد) في رد الوهابيين، مطبوع وهي جواب كتاب ورد إليه من سعود.

٥ - (الحق المبين في تصويب المجتهدين وتخظنة الإخباريين).

شعره

كان الشيخ كاشف الغطاء شاعراً أديباً فصيحاً اللسان، مشهوراً بين أدباء عصره. وكانت بينه وبينهم مطارحات شعرية مشهورة في ذلك الزمان.

ومن شعره مادحاً السيد مهدي بحر العلوم أستاذه:

معيباً وإن كان السليم من العيب

إليك إذا وجهت مدحي وجدته

ومدحك حاشاه من الكذب والريب

إذ المدح لا يحلو إذا كان صادقاً

وله في رثاء الشيخ أحمد النحوي ومدح ابنه الشيخ:

حباً بأبلج من بنيه زاهر

مات الكمال بموت أحمد واغتذى

فأعجبت لميت كيف يحيا ظاهراً	بين الورى من قبل يوم الآخر
وقال في قصيدة يرثي بها أستاذة السيد بحر العلوم:	
إن قلبي لا يستطيع اضطباراً	وقراري أبى الغداة القرارا
غشى الناس حادث فترى النا	س سكارى وما هم بسكارى
وكسا دونق النهار ظلاماً	بعدما كانت الليالي نهارا
ثلّم الدين ثلّة مالها سد	وأولى العلوم جرحاً جبارا
لمصاب العلامة العلم المهدي	من بحر علمه لا يجارى

المصادر

- ١ - أعيان الشيعة.
- ٢ - كشف الغطاء عن خفيات مبهمات الشريعة الغراء.
- ٣ - جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام.

من قاموس الإمام الشيرازي

رؤية في الحضارة (١٣)

أخذت مفردة الحضارة حيزاً كبيراً من اهتمام المفكرين والعلماء والمختصين بالدراسات الاجتماعية والتاريخية حيث وضعوا لها العديد من التعريفات التي تظهر ملامحها وتحددها وإن استقصاء معاني هذه المفردة في الأدبيات الإسلامية يضعنا أمام صورة الحضارة في المفهوم الإسلامي المستقاة من مصادر التشريع الإسلامي ونموذج الدولة الإسلامية التي بنت تشكيلتها الحضارية الرائدة وطرحتها في عمق التاريخ البشري فمثلت بحق انعطافاً وطفرة نوعية في الحياة البشرية على طول هذا التاريخ.

وللإمام الشيرازي رؤية خاصة نستعرض بعض ملامحها من خلال استقراء البحوث المتفرقة والتي جاءت في بعض مؤلفات سماحته:

تقسيمات الحضارة

قال تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات).

(سورة فاطر: ٣٢)

فقد قسمت الآية الكريمة وارثي الحضارة السماوية إلى أقسام ثلاثة:

١) قسم منهم ظلمة، قد ظلموا أنفسهم بعدم تقديرهم ما ورثوه.

٢) وقسم منهم متوسطين في ذلك.

٣) وقسم منهم سابق بالخيرات.

ومن المعلوم عقلاً وشرعاً هو تفوق قسم السابقين بالخيرات، وفوزهم على غيرهم، وتفوقهم لا يكون إلا نتيجة أتعابهم وجهدهم في العمل، وتدبرهم وتعمقهم في الأمور.

نعم إننا بحاجة ملحة لتحمل الأتعاب، تعب السؤال، وتعب المطالعة والمدارسة، وتعب الفهم، وتعب البحث والحوار الهادف، وتعب التعمق والتحقيق العلمي، وهكذا، وإلا لم نكن وارثين للحضارة الإسلامية العظيمة باستحقاق، وذلك لأن الحضارة لا تنال بأشياء بسيطة مصحوبة بالكسل.

١٣ - مقتبسات من أفكار سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله).

بين حضارتين

إن الحضارة هي عبارة عن حضارتين: حضارة علم وحضارة عمل، وقد حظينا نحن المسلمين بكلتا الحضارتين: العلمية والعملية.

الحضارة العلمية

فأما الحضارة العلمية: فهي عبارة عن هذا الكم الهائل من المعارف الإلهية، المودعة في القرآن الكريم، والموجودة في السنة المباركة، من روايات رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين من أهل بيته (عليهم السلام) مثل ما في نهج البلاغة، والصحيفة السجادية، وما أشبه ذلك من كتب الحديث والدعاء.

الحضارة العملية

وأما الحضارة العملية: فهي عبارة عن هذا الرصيد الضخم، الذي هو بأيدينا من السيرة العملية للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) والتي استطاعت بقوتها وفاعليتها، وتواصلها وتداولها، وكثرتها وبركتها، أن تفتح على البشرية جمعاء أبواب حضارة جديدة عملاقة، حضارة عملية نزيهة من النواقص، بريئة من المعاييب والمظالم، سليمة من الاستبداد والطغيان، مليئة بالمحبة والرحمة، مشفوعة بالأمن والإيمان، مقرونة بالسلم والسلام.

ثم واصل تقدم هذه الحضارة العملية المباركة للنبي وآله الكرام (عليهم السلام) علمائنا الأعلام وفقهائنا العظام، إضافة إلى ما كانوا يواصلونه من التقدم الحضاري العلمي من الاحتفاظ بالروايات الشريفة، والأحاديث الكريمة، وتأليفها وتهذيبها، وتعلمها وتعليمها، ومباحثتها ومدارستها، وتوضيحها وتبيينها وغير ذلك.

الحضارة والمجتمع

يرى الكثير من الباحثين أن المجتمع الذي يمكن أن نصفه بأنه متحضر هو المجتمع الذي بلغ درجة معينة من التعقد والتباين بين أجزائه والتمايز في أجهزته.. بحسب وظائفها. ولكن البعض قال بأنه لا يمكننا تحديد درجة تمدن وتحضر المجتمع إلا من خلال شواهد منها مثلاً (العمران) ولكنهم هنا يخلطون بين التمدن والتحضر وليس من الضروري أن تكون المدنية مرتبطة بالحضارة.

لكن الباحثين لم ينتبهوا لهذا الأمر إلا بعد حين.. وقد أشار غوردن شايلد إلى هذا الأمر بالقول: (إن سبيل العمران ليس بالسبيل الوحيد لازدهار الحضارات ومن هذا يتجلى أمر ألا وهو وجود الحضارة قبل العمران). وقال البعض إن تكون الحضارة بدأ من الكوخ إلى القرية ثم إلى المدينة وبعدها إلى المدن الكبرى.

بعدها جاء الإمام الشيرازي (دام ظله) ليحدد معنى الحضارة من المنظور الإسلامي المبين على الحقائق والدلائل المدروسة، فقد قال سماحته: (الاجتماع عبارة عن حياة أفراد كثيرين في محل واحد، والمراد بالمحل الواحد المعنى الإضافي منه، مثل اجتماع القرية، واجتماع المدينة واجتماع الدولة، ولا فرق في صدق الاجتماع البدائي كالذين يعيشون على الرعي والزراعة، وبين المتطور كالذين يعيشون في المدن على الصناعة)

(السياسة، ١١-١٢)

وإذا ما أردنا أن نتعرف على أي حضارة علينا أن ندرس المجتمعات لأنه لا توجد أي حضارة بدون اجتماع ولا اقتصاد والعكس صحيح ومن هذا المنطلق فقد قسم الإمام الشيرازي المجتمعات إلى: مجتمع جامد: وهو المجتمع الذي لا يتحرك في المجال الفكري والاقتصادي وغيره ويحصل هذا الأمر عند انعزال هذا المجتمع عن المجتمعات البشرية الأخرى... ومجتمع متحرك نحو النقص فهو مجتمع ينطلق من فلسفة التردّي والهوى وهذا مجتمع فاسد... أما بالنسبة للمجتمع المتحرك نحو الكمال بأقدام ثابتة فيقول عنه الإمام بأنه مجتمع ينطلق من فلسفة صحيحة كالتعاون والعمل والفضيلة والتقوى... أما النوع الأخير من المجتمعات فهو المجتمع المتحرك نحو الكمال بدون أسس ثابتة.. فهو مجتمع ينطلق من فلسفة صحيحة بالنسبة إلى السمو والإنسانية ولكن لا يراعي سلسلة المراتب.

حضارة الشعوب لا الحكام

ولا يخفى على أحد أن الحضارة تبنى من قبل أبنائها فإذا كان الحاكم عادلاً فإن الشعب سوف يتقدم وتزدهر الحضارة عندهم. أما إذا حدث العكس فسوف يعم الفساد والرذيلة، وقد أشار سماحته إلى هذا الأمر بقوله: (إذن الحضارة تتأكد من الشعوب ولا يتمكن الشعب من إيجاد الحضارة إلا إذا أطاع الحكام العلماء وأعطوا للشعب كامل الحرية التي منحها الإسلام لهم. قال سبحانه في وصف الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله): (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ)

(سورة الأعراف، الآية ١٥٧)

فإن شأن الدين إعطاء الحريات وشأن العلماء حفظ هذه الحريات، ولكن إذا حاربهم الحكام.. عند ذلك يتأخر الجميع، وحيث يتأخر الجميع يتأخر الحكام أيضاً ويصبحوا في ذيل القافلة كما نراه اليوم. وليس سلب الحريات من الناس سبباً لتأخرهم الصناعي والحضاري فقط، وإنما يتأخرون عن الركب في السياسة والاجتماع والطب والاقتصاد والثقافة وغيرها من شؤون الحياة).

(تحطيم الحكومات الإسلامية بمحاربة العلماء، للمؤلف السيد الإمام الشيرازي (دام ظله))

وفي المقابل لا يمكننا إلقاء اللوم فقط على الحاكم لأن الحاكم الجائر إذا رأى بأن الرعية تنقاد له في كل أمر فإنه سوف يستبد أكثر وأكثر، لأنه لا يجد من يردعه. لذا فإن من مستلزمات النهوض الحضاري أن يتوفر لدى الأمة الوعي وهذا ما أشار إليه سماحة الإمام الشيرازي فقال: (أول أسباب التقدم المستلزم للعزة هو وعي الأمة الإسلامية نفسها وما يجري حولها، حتى يحسّ المليار مسلم بأنهم أصبحوا بالنسبة إلى الأمم الأخرى متخلفين، وصاروا على أثر ذلك منقادين لهم، ويدركوا ذلك من أعماقهم، ومن قرارة أنفسهم، فإنه لا يمكن التقدم في شيء من مجالات الحياة، إلى مقبض الزمام إلا بالوعي).

(المتخلفون مليارا مسلم للمؤلف السيد الإمام الشيرازي (دام ظله))

لذا لابد لعلماء المسلمين أن يلتفتوا إلى إصلاح شأن الأمة حتى تقوم الأمة الإسلامية على قدميها وهذا الإصلاح يتم عن طريق العودة إلى الله والأنبياء والأئمة (عليهم السلام).. فقد ورد عن الإمام الكاظم (عليه

السلام) أنه قال: (يا بن بكير إني لأقول لك قولاً قد كانت آبائي (عليهم السلام). تقوله: .. إن للحق أهلاً وللباطل أهلاً فأهل الحق يجأرون إلى الله في إصلاح الأمة بنا وأن يبعثنا الله رحمة للضعفاء والعامة.. يا عبد الله! أولئك شيعةنا وأولئك حزبنا، وأولئك أهل ولايتنا).

(مشكاة الأنوار، ص ٦٤)

فلقد تقلصت حضارتنا للأسباب التي ذكرنا ولأسباب عدة أخرى منها أننا لم نعي بالأل للعلم والعمل والمثابرة وقد أورد الإمام الشيرازي هذا الجانب في كتابه (طريقنا إلى الحضارة) حيث قال: (من أهم أسباب تقلص حضارتنا أنا أصبحنا اليوم بحيث لا نهتم بالعلم والتعمق، والعمل والمثابرة، بينما الأجانب أخذوا يعملون بكلا الشئين، مضافاً إلى السبب الرئيسي في ذلك وهو: أننا تركنا ما أمرنا به رسول الله (صلى الله عليه وآله) من التمسك به، حيث قال (صلى الله عليه وآله): (إني تارك فيكم الثقلين - أو خليفتي - كتاب الله وعترتي أهل بيتي). والحديث متواتر عند الفريقين.

(معاني الأخبار: ص ٩٣. كمال الدين: ص ٢٤٧)

فحيث تركنا كتاب الله عز وجل وعترته نبيه (صلى الله عليه وآله) ولم نهتم بالعلم والتعمق فيه، والعمل والمثابرة عليه، خسرنا حضارتنا الإسلامية).

(طريقنا إلى الحضارة للمؤلف السيد الشيرازي)

الحضارة ووارثوها الشرعيون

هذا هو دور العلم والعلماء في المجتمعات المتقدمة، وبعض مكانتهما أيضاً في الإسلام العظيم، فقد عد الإسلام العلماء المتقين ورثة الأنبياء (عليهم السلام)، فهم على ذلك الوارثون الشرعيون لحضارة الإسلام، وهم المتعمقون في العلم، والمجدون في العمل، والعارفون بطريقة تعميم الحضارة الإسلامية بين الناس، ونشرها في كل العالم، وإيصالها إلى المتعطشين إليها، والمحرومين منها. نعم لا تنتشر الحضارة الإسلامية المباركة ولا تسود إلا بمقدمات وأسباب، ومن أهمها: تشكيل شورى الفقهاء المراجع كما قال تعالى: (وأمرهم شورى بينهم).

(سورة الشورى: ٣٨)

فإنه الطريق الأمثل في زمن غياب المعصومين (عليهم السلام) لإدارة أمور العباد والبلاد. وكيف كان: فإن الدنيا دار أسباب ومسببات، ومن عمل ظفر، ومن سار على الدرب وصل، وكما أن التجارة سبب للوصول إلى الدنيا، والزهادة سبب للفوز بالآخرة، فكذا تكون الفقهة سبباً للظفر بالدنيا والآخرة معاً، ولا تكون الفقهة إلا بالتدبر والتعمق في العلم، والجِد والمثابرة في العمل.

الشعب هو باني الحضارة

باني الحضارة هو الشعب الحر الذي يملك إرادة التغيير، فإذا أخذ الحكام بمخالفة العلماء ومحاربتهم وسلبوا الحريات عن الشعب، فحينئذ لم ير الشعب في الحكام مظلة للتقدم، وكان ذلك سبباً في خمود الشعب، فيتأخر الكل عن ركب الحضارة والتقدم.

وإني أذكر أن رجلاً في بغداد صنع ساعة متطورة عما قبلها من الساعات، فلما علم الحاكم بذلك أهلك الرجل ولم يتركه وشأنه، وأخذ ساعته البدائية ووضعها في متحف بغداد..

كما إني أذكر أن في إيران قد نبغ طبيب كان يعالج كثيراً من الأمراض الصعبة العلاج بالأعشاب فقط، وبسهولة ورخص، وكان يصدر مجلة باسم (راهنماي نجات از مرگ مصنوعی) أي طريق النجاة من الموت المصطنع، لكن الحاكم أهلك الطبيب وذلك باصطناع حادث اصطدام لسيارته..

والأفكيف يكون من المعقول أن ألفي مليون بشر وهم المسلمون كما في الإحصائيات الأخيرة (١٤) ليس لهم من الصناعة شيء يذكر، بينما الغرب تعج مدنه بالصناعات، مع أن الحضارة والصناعة والتقدم والعلم كان للمسلمين ومنهم انتقل إلى الغرب، كما صرح بذلك علماؤهم.

راجع كتاب (حضارة العرب) للدكتور غوستاف لوبون و(موجز تاريخ الإسلام) للإمام المؤلف (دام ظله)
قال تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

(سورة الرعد: ١١)

وقال سبحانه: (وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له).

(سورة الرعد: ١١)

ومن المعلوم أن الله لا يريد السوء بأحد إلا إذا انحرف عن طريقه سبحانه، قال عز وجل: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً).

(سورة طه: ١٢٤)

بقي أن نذكر أن للإمام الشيرازي أكثر من ألف ومائتي كتاب، تحدث فيها، وأعطى عصارة فكره في المشروع الحضاري الإسلامي ولا تزال المسيرة بإذنه تعالى تسيير نحو هذا الهدف السامي.

١٤ - راجع كتاب (عند ما يحكم الإسلام) الصفحة الأخيرة، لعبد الله فهد النفيسي.

مقالات

التعددية وتأهيل المؤسسات في الإسلام

حيدر الجراح

مقدمة أولى

تقتضي سنة الله في خلقه التنوع والاختلاف، الذي يشكل لوحة الموزاييك الكونية في هذه الحياة الدنيا. انقل بصرك أينما شئت، وجميع حواسك، وتلفت من حولك، ولتكن البداية من نفسك، أصغر جرم انطوى فيه العالم الأكبر.

أنت طرف في معادلة الزوجية التي أبدعها سبحانه وتعالى، ومثلك ذكراً كنت أم أنثى هناك ما لا يحصى من هذه المعادلات.

وتتسع الدائرة لتشمل معادلة أكبر، فأنت طرف في معادلة أطرافها مليارات البشر، لا تتشابه معها إلا في الوصف العام.. ووحدة الخلق والتكليف (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) البقرة: ٣٠، ووحدة التكوين والولادة (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) البلد: ٤، ووحدة الوصف الجسدي الإنساني العام (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ) البلد ٨ و ٩، ووحدة الطريق إلى الله، ومنه ثنائية الخير والشر بالاختيار الإنساني (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) البلد ١٠.

مقدمة ثانية

تستند التعددية في المنظور الإسلامي على أس راكم هو وحدانية الله سبحانه وتعالى التي تقابلها تعددية الكون في عوالمه، وشؤون الاجتماع البشري وميادين الحضارة والعمران، (فالاعتراف بآله واحد فرد صمد يتضمن بدهة أن كل ما عداه متعدد، أو بالتعبير القرآني (زوجين) (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) الذاريات: ٤٩ (١٥).

ومن مظاهر التعددية كما يخبرنا القرآن الكريم:

١ - في الكون:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ)

البقرة: ١٦٤.

١٥ - د. هشام جعفر، التعددية من منظور الإسلام، مجلة الكلمة، العدد ٥، ١٩٩٤.

(إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ) يونس: ٦.
٢- الأمم:

(وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يونس: ١٩.

وهذا الاختلاف الحاصل أراد الله سبحانه وتعالى سنة أبدية في خلقه..

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) الحجرات: ١٣.
٣- النبات والحيوان:

(وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ) الأنعام: ١٤١.

(وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ) النحل: ١٣.

(ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ) النحل: ٦٩.

٤- النبات والإنسان والحيوان والجبال:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودَ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ الْأَنْعَامُ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ...) فاطر ٢٧ و ٢٨.

٥- في اللغات والألوان:

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ) الروم: ٢٢.

٦- في الرسل والأنبياء:

(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ) البقرة: ٢١٣.

(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ) يونس: ٤٧.

(وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) فاطر: ٢٤.

٧- في الشرائع والمناهج:

(لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) المائدة: ٤٨.

٨- في الملائكة:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) فاطر: ١.

وهناك الكثير من الآيات البينات التي تؤكد على حقيقة التعددية باعتبارها إحدى الحقائق الكونية الكبرى..
والحكمة من هذا التعدد والاختلاف والتنوع بحده في قوله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) المائدة: ٤٨.

وآية أخرى يقول فيها سبحانه وتعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) هود: ١١٨ و ١١٩.

يقول العلامة الطباطبائي في تفسيره لهذه الآية:

(ثم الاختلاف - ويقابله الاتفاق - من الأمور التي لا يرتضيها العقل السليم، لما فيه من تشتيت القوى وتضعيفها.. وأثار أخرى غير محمودة، من نزاع ومشاجرة وجدال وقتال وشقاق، كل ذلك يذهب بالأمن والسلام، غير أن نوعاً منه لا مناص منه في العالم الإنساني وهو الاختلاف من حيث الطبايع المنتهية إلى اختلاف البنى فإن التركيبات البدنية مختلفة في الأفراد وهو يؤدي إلى اختلاف الاستعدادات البدنية والروحية، وبانضمام اختلاف الأجواء والظروف إلى ذلك، يظهر اختلاف السلانق والسنن والآداب والمقاصد، والأعمال النوعية والشخصية في المجتمعات الإنسانية، وقد أوضحت الأبحاث الاجتماعية أنه لولا ذلك لم يعيش المجتمع الإنساني ولا طرفة عين. وقد ذكره الله تعالى في كتابه ونسبه إلى نفسه حيث قال: (تَحَنُّنًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا) سورة الزخرف: ٣٢، ولم يذمه تعالى في شيء من كلامه إلا إذا صحب هوى النفس وخالف هدى العقل).. (١٦).

في تعريف التعددية

في الفلسفة، التعددية: اسم يطلق على كل نظرية تقول بأن ثمة عدة حقائق مطلقة، ومن هنا فرق ما بينها وبين الأحادية والثنائية أو الثنوية (١٧). وفي السياسة، التعددية: مفهوم ليبرالي ينظر إلى المجتمع على أنه متكون من روابط سياسية وغير سياسية متعددة ذات مصالح مشروعة متفرقة، ويذهب أصحاب هذا المفهوم إلى أن التعدد والاختلاف يحول دون تمرکز الحكم ويساعد على تحقيق المشاركة وتوزع المنافع (١٨). وقد تشعب هذا المفهوم وتطور، ولم يتأطر بالإطار الفلسفي المعرفي فقط، حيث تعدى ليبرز كاتجاه في التفكير الإنساني، له تجلياته وامتداداته في مختلف نواحي الحياة الإنسانية، فلم يبق أطروحة فلسفية ذات طابع نظري تجريدي، بل أضحت نمطاً في الفكر والممارسة بحيث صار هذا المفهوم يطلق اليوم في الميدان الفكري والثقافي.. من هنا تكون التعددية ضرورة في أي ميدان يتطلب الاعتراف بالاختلاف في كافة الرؤى والاتجاهات ومن هنا كانت هناك تعددية دينية، وتعددية سياسية، وتعددية اجتماعية.. إلى آخر التعدديات في عالمنا اليوم (١٩).

المؤسسات

من وجوه مفهوم التعددية الذي تطور في المنظومة الفلسفية ولم يقتصر عليها، بل تعدى ذلك المفهوم إلى التعددية السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. إلى آخره من التعدديات.. يبرز هذا المفهوم في الاجتماع البشري المعاصر عبر مجموعة من المؤسسات التي تنتظم في إطار الدولة الواحدة، أو تضم عدداً من الدول..

١٦ - محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ج ١١، ص ٦٠.

١٧ - منير البعلبكي، موسوعة المورد، مجلد ٨: ص ٥، دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٨٢.

١٨ - د. عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، مجلد ١ ص ٢٦٨، ط ٢ ١٩٨٥ بيروت.

١٩ - الفقه.. السياسة، مجلد ١٠٥، ج ١ ص ٢٣٠، دار العلوم، بيروت ط ٦، ١٩٨٧.

في الإسلام، طالما أن (الأمة هي التي توجد السياسة) على حد تعبير الإمام الشيرازي، فقد تناول مسألة المؤسسات بطريقة لم يسبقه إليها أحد من الفقهاء، ولا من الباحثين المسلمين، واستطاع أن يجعل فكرة المؤسسات تخرج من مجرد كونها فكرة نظرية يدعو إليها هذا الكاتب أو ذاك، إلى كونها حقيقة عملية تستطيع الأمة الإسلامية أن تنشئها وعليها تبني دولتها الإسلامية الموعودة (٢٠).

فهو يرى بحكم أن السياسة يؤثر فيها عاملان هما الزمان والمكان اللذان يعلان دور السياسة داخل الدولة، ويرى سماحته أن السياسة تكبر بمرور الزمان كماً وكيفاً، وكلما كبرت السياسة كبرت المؤسسات المرتبطة بها (٢١).

وهذا يؤدي بدوره إلى خلق آليات جديدة في العمل وإزاحة آليات أخرى خدمت في وقت ما ولا تستطيع أن تضيف شيئاً في وقت لاحق. أو أنها تزيد من أعمالها وبالتالي تزيد مساحة أعبائها. إن العلة في ذلك كما يراها الإمام الشيرازي: أن الاحتياج إلى المؤسسات يزداد كلما توسع أو تقدم الاجتماع، وذلك لأن العلاقات في الاجتماع الموسع، ولو كان بدانياً، تزداد ومع ازديادها تتشابك.. (٢٢).

وواحدة من المؤسسات التي تبني على قاعدة التعددية السياسية هي الأحزاب التي تبني بالأساس على اختلاف الرأي (فالتعددية الحزبية هي في واقعها اختلاف الرأي في القضية السياسية.. فللمواطن رأيه وله حقه في ممارسة أفكاره، شريطة أن لا يمس بالنظام العام، والأخلاق العامة. وهذا يقوم على مبدأ حق كل إنسان في المشاركة سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات المنتظمة) (٢٣).

والتزام الأحزاب بقيم الإسلام وتعاليمه يعدّ شرطاً أساسياً لممارسة نشاطاتها ضمن إطار التعددية السياسية (ثم تترك بعد ذلك لتدعو إلى ما تشاء من برامج سياسية واقتصادية واجتماعية) (٢٤).

كيف نظر الإمام الشيرازي لموقف الإسلام من الأحزاب؟ من منطلق الجواز والحرمة في تشكيلها وعملها وآلياتها.. إنه يحدد ثلاثة أمور في حرمة الأحزاب.. كمقدمات.

- ١- إذا كان الحزب مقدمة للبرلمان الذي يحكم حسب الآراء والأهواء كان حراماً، لأنه مقدمة الحرام.
 - ٢- إذا كان سبباً لقبض أزمة السياسة في البلاد من دون الانضواء تحت لواء الفقيه العادل الجامع للشرائط.
 - ٣- إذا كان سبباً لتسليط من لا ترضى به أكثرية الأمة ولو كان فقيهاً عادلاً.. (٢٥).
- ومن تلك المقدمات يخرج سماحته بحكم الإسلام في تلك الأحزاب وهو الحرمة.. لأن الحزب الواحد عادة ما

٢٠ - دراسات في فكر الإمام الشيرازي، د. أياد موسى محمود، ص ٢١٤ لجنة الإمام المهدي للطباعة والنشر، الكويت، ط١، ١٩٩٩.

٢١ - المصدر السابق.

٢٢ - الفقه.. الاجتماع، الإمام الشيرازي، مجلد ١١٠، ج ٢، ص ٦٦، دار العلوم، ط٦، ١٩٨٧.

٢٣ - آفاق حضارية للنظرية السياسية في الإسلام، السيد محمد بحر العلوم، ص ٢٥٠ معهد الدراسات العربية والإسلامية، لندن، ط١، ٢٠٠٠.

٢٤ - في النظام السياسي للدولة الإسلامية، د. محمد العوا، ص ٨٤.

٢٥ - الفقه.. السياسة، مجلد ١٠٦ مصدر سابق، ص ١١٧.

يستأثر بالحكم الذي يترتب عليه نشوء الاستبداد والدكتاتورية.

ويستثني الإمام الشيرازي من هذا الحكم الأحزاب التي يضع لها شروط تكوينها وممارسة نشاطاتها وفق:

- ١- إذا كان الحزب ليس أساساً لتشريع الأحكام.
 - ٢- إذا كان الهدف من تشكيل الحزب إقامة حكم الله.
 - ٣- إذا عمل الحزب على إيصال الفقيه المرضي لله ولأمة إلى رئاسة البلاد.
 - ٤- إذا سمح هذا الحزب بعمل سائر الأحزاب ولم يكن مستبداً.
- فمثل هذا الحزب إذا توقف عليه إقامة حكم الله كان واجباً تعيينياً، وإن كانت هناك صورة أخرى لإقامة حكم الله كان واجباً تخييراً (٢٦).

وقد أجمال الإمام الشيرازي سبعة فوائد للأحزاب داخل الأمة:

- ١- انتخاب الأصلح.
 - ٢- تحكيم إرادة الشعب.
 - ٣- مدرسة السياسة التطبيقية.
 - ٤- تحمل المسؤولية السياسية.
 - ٥- مدرسة الانضباط الفكري والعملية.
 - ٦- صنع التنافس الخلاق.
 - ٧- تقديم الشعب إلى الإمام (٢٧).
- أخيراً، يرى الإمام الشيرازي أن التعددية السياسية في إطار الأحزاب المشكلة (واجبة على المسلمين لأنها من الضروريات في النظام السياسي، وقد حثَّ الإسلام عليها لأن التعددية وقاية وعلاج سياسي، بينما عدمها وهو الحزب الواحد - كما تعارف اليوم في كثير من البلاد، مما لا يعترف به الإسلام - وقوع في كابوس الظلم والجور، وسقوط في هاوية الاستبداد والدكتاتورية) (٢٨).
- وقد جعلها عنواناً لفصل كامل من حقول ما أسماه بالنظافة السياسية الواجب على المسلمين اتباعها إذا أرادوا النهوض والتقدم.

٢٦ - م.ن ص ١١٨.

٢٧ - م.ن ص ١٢٦-١٢٧.

٢٨ - الفقه.. النظافة، الإمام الشيرازي، ص ٢٩٦، هيئة محمد الأمين، ط ١، ٢٠٠٠.

مقالات

الإدمان ... مخاطره وكيفية مقاومته

أحمد العلوي

لاشك أن الحكم الأخلاقي والمسؤولية يشكلان العمل الذي تخلقه البيئة الاجتماعية داخل أنفسنا.. باعتبار أن موضوع الأخلاق هو اجتماعي بالدرجة الأولى. يُعد الإدمان المستوى المتدني للانحراف الأخلاقي من خلال مسألة من أخطر المسائل في عالمنا اليوم، الإدمان والتعاطي وأنواعه المختلفة - أي الكحوليات والمخدرات. سيما وأن طبيعتنا الإنسانية كمجتمع إسلامي وإنساني تأبى مثل هذه الانحرافات ولكن كيف تخوض مجتمعاتنا قضية الصراع مع هذه الظاهرة الخطيرة.. وما حجم هذه الظاهرة وكيف تؤثر في مجتمعاتنا لتصدر بأسلوب أنيق ومخادع لينظم إلى سلوك بعض الأفراد الشاذين ويكتسح أفراداً آخرين ويصيح عادة تمتزج حسب علم النفس بالرغبة أو بالقوة الدامغة في مجتمع إسلامي بعيد عن هذه الظاهرة أو تلك، أي الحالة تصبح تحت قيود إثارة رغبته القهرية التي ترغمه للحصول على تلك المادة بأية وسيلة كانت، وتمر هذه الحالة بطريقتين الطريق الأول يسمونه بالتعود، أي أن المدمن أو المتعاطي البدائي يعتاد على ذلك الشيء ثم يصل بعد حين إلى مرحلة الإدمان التي تعد أخطر من المرحلة الأولى ويصعب معالجتها. بناءً على ما لهذه المواد من تأثير (فارماكولوجي) على عدد من الوظائف النفسية منها والعضوية، وعلى هذا الأساس ترتفع النسبة الاحتمالية للاعتماد على المادة النفسية، أما الإمكانية الاعتمادية للمادة فتحدد بناءً على خصائصها الفارماكولوجية. وهذه يتم قياسها من قبل الأطباء والمتخصصين وبهذا فإن المواد المحدثه للاعتماد هي المواد التي لها القدرة على التفاعل مع المتعاطي بموجب النسبة والخصائص المتعينة لكل مادة من تلك المواد ومن هذه المواد:

١ - هي الكحوليات التي تضم جميع المشروبات الكحولية.

٢ - الامفيتامينات.

هذا بالإضافة إلى فئات أخرى، كالكينبات والكوكايين والمهلوسات وفئة القات والأفيونات (أنواع المورفينات) كالهيروين والكودايين. إضافة إلى فئات أخرى تدخل ضمن نطاق الفئات المتعددة لأنواع المخدرات. وقد اخترنا في هذا البحث الكحوليات والمخدرات كونها تدرج تحت تأثير التسكير والإبعاد عن الواقع بعد دخولها تحت عنوان التعاطي والإدمان بمادة الكحول كونه أقل خطورة من المخدرات الأخرى. وتبدأ حالة الإدمان بتناول الشراب في المناسبات السعيدة ثم المناسبات المؤلمة ثم أثر كل شدة أو عقبة، وبعدها كمسكن للآلام ثم ينتهي بالداء وهو الإدمان.

مشكلة الإدمان على الكحول.. النتائج والتأثيرات السلبية

نشرت بعض التقارير العلمية تجارب لإيضاح تأثير الكحول على مقدرة الإنسان لقيادة السيارة في حالة الشرب ودلت نتائج تلك التقارير على أنه إذا كانت نسبة تركيز الكحول في دم السائق حوالي ٠,٠٣% فإن ذلك يؤثر على ٠,٢٠% من مقدرة الشخص على تقدير المسافة أما إذا تجاوزت إلى ١٨% فإن ذلك يؤثر على ٣٠% من زمن ردود فعل السائق وتوازنه الجسمي والبصري. وقد أجريت تجربة مهمة لتوضيح مشكلة الإدمان على الكحول حيث جمعت معاً قطط في حالة هيجان عصبي شديد وأبدت تلك القطط أنواعاً مختلفة من الاضطرابات السلوكية كالخوف والارتباك والتشنج والعنف والهرب وبعد أن أعطيت حليباً يحتوي على نسبة من الكحول اختفت تلك الحالة العصبية بالرغم من أن حالة الصراع بقيت كما هي. كل هذه التجارب وفرت معلومات أكثر لفهم تطور مشكلة الإدمان لدى الإنسان الذي غالباً ما يعلل لنفسه بأن الكحول هو الطريق الوحيد للتخفيف من الإرهاق ومشاكل الحياة الرتيبة أو لكونه يقربه اجتماعياً إلى الناس الآخرين. لكنه لا يدرك الخطر الحقيقي على حياته إلا بعد أن يصبح مدمناً ويتوضح لديه زيف تلك الاعتقادات وبعدها يصبح عاجزاً عن الاستغناء عن الكحول.

أسباب تناول الكحول

أدى ازدياد وتعقيد الحضارة المادية وانفصال الروابط الاجتماعية التي تربط بين العائلة الواحدة إلى حدوث انتكاسات نفسية خطيرة لدى كثير من البشر الذين يعانون من مشكلة الوحدة والفراغ القاتل. ومقابل ذلك تم انتشار الفئات المختلفة من الخمر وليس هذا فحسب بل تم إباحتها حتى للأطفال بما آل إلى توسع حالة الإدمان خصوصاً وأن الكثير من الآباء في المجتمعات الغربية يشجعون أطفالهم على تذوقها وتناولها بحجة أن ذلك يجعلهم رجالاً.

ومن أسباب تعاطي المخدرات تعود لعدم امتلاك الغرب كتاب حياة ورسالة هادفة يسيرون على هديها وخطاها، وبقيّة الأسباب تكمن في مشاكل المجتمع السياسية والاجتماعية وإطلاق العنان لحريات الأفراد دون وضع حدود شرعية تقيد حرية الأفراد على أسس منطقية سليمة، وأيضاً اليأس وفقدان الثقة من كل شيء والتناقضات والتناحرات الموجودة في المجتمع ومضايقات الأسرة وقلة اهتمام الوالدين بأبنائهم (دع القلق وأبدأ الدعاء، تأليف علي ناصر).

غير أن الأطباء يبحثون عن أسباب مادية قد تكون لها علاقة معينة بالإدمان لكنها لا تكون العامل الرئيسي فمثلاً يحاول الكثير من الأطباء إيجاد العلاقة الوراثية في انتقال الإدمان من الأب إلى الابن أو من الأم إلى الابن أو البنات لكنه ولحد الآن لا يوجد دليل قاطع على صحة هذا الاعتقاد. وهناك اعتقادات أخرى قد تكون أكثر واقعية وهي أن فقدان المبكر لحنان الوالدين أو أحدهما يترك آثاراً سلبية على تصرفات الأطفال خصوصاً الإناث منهم وتدفعهم إلى الإدمان على الكحول في فترات مبكرة من حياتهم. ناهيك عن مشاكل الطلاق وما يترتب عليها من آثار وخيمة على الزوجان المنفصلان والأطفال. ومن الأسباب الحقيقية الأخرى فقدان الرادع الديني والأخلاقي ما يجعل الإنسان غير مبال بما يدور في مجتمعه وغالباً يعيش على هامش الأحداث.

وبالرغم من أن المدمن على الكحول غالباً ما يستحوذ عليه شعور بالنشاط والحيوية فإن الكحول يكون عادة

محبط للعزيمة ومكدرًا لصفاء النفس مع إحداث تأثيرات تخديرية على الجهاز العصبي والشعور بالقوة والنشاط يحدث عادة نتيجة لتحرر مراكز الأعصاب السفلى من سيطرة المراكز العصبية العليا الموجودة في المخ. وهذا يطلق العنان لحيوانية الإنسان ويحرره من قيود الخجل والأخلاق ويصبح في حالة اللامبالاة مع زيادة الشعور بالعظمة والثقة بالنفس وبالمقدرة المزيفة على تحمل المخاطر ومع ازدياد معدل الكحول في الدم يبدأ تأثيرها الكئيب بالانتشار في مراكز المخ التي تسيطر على التوازن الجسماني وتسبب اختلال التوازن في الكلام وعدم السيطرة على الأطراف لكن مثل هذا التأثير يختلف من شخص إلى آخر تبعاً لعوامل مختلفة كالحالة الصحية ووزن الجسم وكمية الغذاء في المعدة وسرعة تناولها وقوتها ونوعها وقد نصت الهيئة الطبية البريطانية على أن أعلى نسبة لتركيز المادة الكحولية في الدم مثلاً يمكن أن يمتلكها سائق السيارة لكي يقودها بأمان هي ١٠٠ ميلليغرام من الكحول لكل ١٠٠ سم مكعب. كما يحصل مع انهيار الحالة الأخلاقية لدى الشخص المدمن فتجلب معها آثاراً اجتماعية خطيرة منها الاعتداءات الجنسية والسلوك العدواني وحوادث المرور التي غالباً ما تؤدي إلى قتل البشر وزيادة حالات الانتحار والجرائم وما شابه ذلك، لذا فإن معالجة مثل هذه المشكلة الخطيرة يجب أن يكون علاجاً حاسماً وقاطعاً لوقاية المجتمع من الآثار المترتبة عليها ورغم محاولات الكثير من الأطباء لعلاج هذه المشكلة بالعقاقير أو العلاجات النفسية إلا أن ذلك لا يمثل رأس المشكلة المتمثلة بطبيعة تفسخ العلاقات الاجتماعية المنحلة بعد اختفاء الرادع الديني والأخلاقي بالإضافة إلى استباحة الخمور وتقبلها اجتماعياً واقتصادياً.

أنواع الإدمان والنتائج المترتبة عليه

إن الإدمان على الكحول أصبح ظاهرة متفشية ومنذ مدة ليست بالقصيرة في المجتمعات الغربية حتى أصبحت صفة من صفات تلك المجتمعات ففي فرنسا مثلاً هناك ٥٠% من الفرنسيين يدمنون شرب الخمور نظراً لأنها أصبحت بمثابة عادة اجتماعية ولقد أدى استفحال هذه الظاهرة إلى نتائج وخيمة في تلك المجتمعات بعد أن ازدادت حوادث القتل والإجرام من كل الأنواع إضافة إلى حوادث السير التي تزداد باطراد خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية حيث تكلف مبالغ طائلة تصل إلى أكثر من ١١٦ بليون دولار سنوياً. وفي رأينا إن الأهم من كل هذه الأرقام هو التحلل الذي يصاب به المجتمع نتيجة مسألة الإدمان عندما يصبح ظاهرة تهدد أمن المجتمع وهيكله التنظيمي وقيمه الإنسانية وتهمش اهتمامات أفراد المجتمع وتؤدي به إلى الابتعاد عن هموم الأمة ومعتقداتها الأخلاقية. أما في بلدان العالم الثالث والبلدان النامية فهناك الكثير من المترفين يحاولون تقليد الغرب في السعي لتناول الخمور رغم تميز القيم والعادات الاجتماعية عن تلك التي توجد في المجتمعات الغربية خصوصاً في الجوانب الدينية. أما بالنسبة للفئة الثانية من مجتمعات البلدان النامية أي الذين سحقتهم عجلة الاقتصاد المتطور لتلك البلدان فيلجأون إلى هذه الآفة الاجتماعية اعتقاداً منهم أنهم يجدون السلوى فيها والتحليق في عالم هم بأمس الحاجة لأن يعيشوا فيه ما يجعلهم عرضة للإصابة بأفة الانهيار والتحلل.

إن القيم الاجتماعية والموروث الديني والقيم الروحية التي تتمتع بها مجتمعاتنا كانت ولا تزال تمثل سوراً يحفظ مجتمعاتنا إلى حد ما من اختراق هذه الظواهر وهي لا زالت تفعل مفعولها.

ومن طريف ما يذكر أنه في عام ١٩٩٣ انفجرت حرب بين فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية سميت بحرب

النبيذ وكانت ملامح تلك الحرب دعماً فرنسياً لإنتاجها. ولكن السؤال ما الفرق بين المشروبات الكحولية والمخدرات.

الحياة بالنسبة للإنسان تتطلب الاستراحة ليكون هناك إنتاج ونشاط وكما جاء بالحديث الشريف (اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله... وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الأخوان والثقات .. وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم، وبهذه الساعة تقدر على الثلاث ساعات).
إن ليس من العيب أن تكون لنا لذات وشهوات ومنطقياً هناك استجابة لتلك الشهوات في الجسد. ولكن عدم الاستسلام لها حتى تسقطنا في المصائب كما يقول الحديث الشريف إياكم وتحكم الشهوات عليكم، فإن عاملها ذميم، وأجلها وقيم).

والإنسان لديه سيطرة لمنع غلبة الشهوات والتحكم فيها.
وهكذا أن لا نعطي النفس ما تشتهيها في كل أن بل التمتع بإطلاق بما فيه الثواب.

المصادر

- ١ - مع الطب في القرآن الكريم. تأليف الدكتور عبد الحميد دياب والدكتور محمد قرقوز.
- ٢ - بحار الأنوار، ج ٧١.

مقالات

حقوق الأقليات في الإسلام

نزار الموسوي

المقدمة

الإسلام نظرية متكاملة لكل نواحي الحياة ولكل فرد من أفراد المجتمع الإنساني لكن المسلمين في كل أنحاء العالم قد جهلوا الإسلام وانحرفوا عن طريقه الواضح حتى لم يعد في الدنيا كلها بلد يقام فيه حكم الإسلام كما أنزله الله تعالى إلا ما ندر سواء في الحكم والسياسة أم في الاقتصاد والاجتماع أو غير ذلك مما يمس مصالح الأفراد والجماعات ويسبب هذا الانحراف والابتعاد اتخذ الناس لأنفسهم أحكاماً تقوم على أهوائهم ومنافعهم – الحكم المدني – فأدى ذلك إلى التحلل والفساد وملأ البلاد بالشرور والآثام وعاد على المجتمع بالبؤس والشقاء. وفي حديثنا هنا نتكلم عن جانب معين وهو حقوق الأقليات في الإسلام وقبل الخوض فيه لا بد أن نلقي نظرة على حقوق الأقلية قبل الإسلام وحقوق الأقلية المسلمة في المجتمع المدني كي تصبح الصورة في أذهاننا واضحة وجليّة بعد أن نعرف كيف تعامل الإسلام مع حقوق الأقليات وكيف تعامل الحكم المدني معها.

حقوق الأقليات قبل الإسلام

إن الحديث عن مجتمع ما قبل الإسلام بغض النظر عن الأقلية والأكثرية يكاد يخلو من ذكر أي صفة من الصفات الحميدة لما ساد فيه من ظلم وجاهلية إلا ما ندر كما في جماعة الحنفاء في الجزيرة العربية التي كانت تشكل رفضاً عملياً ونظرياً لعالم الجاهلية ومثله وأساليبه، وإلا فالحديث عنه هو حديث عن القسوة والفظاظة والسكر والزنا والربا والسرقة ووآد البنات وما إلى ذلك. فقد كانت الحرب وتجارة الرقيق وسيلة كسب العيش وميزان توطيد المكانة الاجتماعية في ذلك المجتمع. وعليه فالمجتمع الطبقي كان سائداً ومنتشراً في أعلى مستوياته ومن لم يصل إلى قمة الهرم الطبقي أو مكاناً قريباً منه لم يكن نصيبه إلا الامتهان وخدمة الطبقة العليا.

لذلك واجه الإسلام عند ظهوره بيئة محلية تضطرب فيها موازين المساواة ويجار فيها على الحقوق العامة بغير سبب مشروع فقد يظلم المرء لسواد لونه أو لقلّة ماله أو لضعف أسرته أو لما شابه ذلك من الصفات، وما عرفته البيئة العربية في جاهليتها عرفتها الأمم الأخرى القديمة والحالية، فقد كان العرب في جاهليتهم يزدرون السود ويؤخرون منزلتهم كما هو حال الشاعر الجاهلي عنتره العبسي فبالرغم من أنه من الرجال الشجعان والشعراء المعدودين إلا أن أباه أقصاه لا لشيء إلا لأنه أسود لكن لما ظهر الإسلام ألغى كل هذه الفوارق الطبقية

وجعل قاعدة (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) فكان المؤذن الأول لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بلال العبد الحبشي الأسود.

حقوق الأقليات في ظل المجتمع المدني

أهم حقوق الإنسان العامة هي في الأصل تعود إلى حقين رئيسيين هما: المساواة والحرية. وقد ادعت الأمم الديمقراطية الحديثة أن العالم الإنساني مدين لها بتقرير هذين الحقين فذهب الإنكليز إلى أنهم أعرف شعوب العالم في هذا المضمار، وزعم الفرنسيون أن هذه الاتجاهات جميعاً كانت وليدة ثورتهم، وأنكرت أمم أخرى على الإنكليز والفرنسيين هذا الأمر وادعته لنفسها.

والحق أن الإسلام هو أول من قرّر هذه المبادئ على أكمل صورة وأوسع نطاق، وأن الأمة الإسلامية في عهد رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) والإمام علي (عليه السلام) كانت أسبق الأمم في تقرير هذه المبادئ والسير عليها كما سنرى لاحقاً.

إن ما ورثته أوروبا من الكنيسة لم يسمح بأي تطور أو توارث اجتماعي أو نشاط إنساني فقد حكمت الكنيسة على العقل والتسامح بالسجن المؤبد وبذلك خمدت جذوة التسامح في النفس الإنسانية وتحت وطأة هذه الظروف الخائفة، ولولا المبادئ السامية التي انتشرت في بلاد المسلمين لما نهضت أوروبا ولما أفاقت من غشيتها. والإنسان المطلع على تاريخ فلاسفة وقادة الثورة الفرنسية يرى بدقة مدى تأثرهم بالفلاسفة المسلمين.

إن المظالم التي وقعت على الناس في العصور الطويلة الماضية والمستمرة إلى الآن في ظل هذه الأحكام تكشف عن مدى مصادرة حقوق الأقليات في ظل هذه الأنظمة. مثلاً في بريطانيا وفي بعض مناطق لندن، نسبة العاطلين عن العمل بين الأقليات العرقية بما فيهم المسلمون هي ٦٠-٧٠% ونجد النموذج ذاته في مدينة براد فورد التي يعيش فيها عدد كبير من السكان المسلمين. أما الذين يعملون فلديهم مهن ذات أجور ضئيلة ومرتبة اجتماعية أقل من العامل البريطاني المنشأ.

وقد بيّنت الأبحاث أن المسلمين يواجهون تمييزاً عنصرياً حتى في الوظائف الإدارية وفي بعض المهن مثل الطب والتعليم ويستشهد أحد الكتاب بدراسة أجريت حول الأطباء المسلمين ويقول: إن الأطباء المسلمين ينحصر عملهم في المراتب الدنيا وفي اختصاصات غير مفضلة.. وإن عليهم أن ينتظروا مدة أطول من أجل ترقيةهم مقارنة بزملائهم البريطانيين.. وإن المعلمين وضعوا في أسفل السلم التصنيفي بشكل غير متكافئ مع زملائهم البريطانيين.

وفي أستراليا يقول رياض حسّان: يعاني المسلمون من أعلى مستوى من التمييز والإجحاف يليهم الفيتناميون والأتراك ثم الآسيويون ككل ويستشهد بتقرير قام به المكتب الأسترالي للشؤون المتعددة الثقافات والذي يؤكد أنه من بين مجموع السكان الأستراليين ككل يواجه الآسيويون من وسط آسيا وأقصاها بالإضافة إلى المسلمين أعلى مستوى من التعصب.

وفي ألمانيا كذلك حيث تصوّر الصحافة دوماً الإسلام بشكل غير مستساغ وحتى الكتب المدرسية الألمانية إلى نهاية السبعينيات تورد عبارات تسيء إلى عقيدة المسلمين وتصفهم بالعنف والشر وهذا هو حال الإنسان المسلم فهو عنيف وشرير ومدفوع من قبل غرائزه وغير ذلك كثير.

أما في كندا حيث تصف وسائل الإعلام الكندية المسلمين بأنهم إرهابيون دون رحمة ورجال دين متعصبون وشيوخ نفط ومضطهدو النساء، والمتعصبون العشوائيون الذين يسعون للانتقام لأي زلة جنسية و... .

ونفس الموضوع العنصري ينطبق على أمريكا وهو ما يذكره السيد هادي المدرسي في كتابه: إن الفقرة ٢٠٧ من دستور ولاية (ميسيسبي) تنص على ما يلي: يراعى في هذا الحقل - حقل التربية والتعليم - أن يفصل أطفال البيض عن أطفال الزنوج فتكون لكل فريق مدارس الخاصة).

ويقول إيفون يزبك حداد: عانى المهاجرون العرب في مطلع القرن من التحيز على المستوى المحلي وتعرضوا في بعض الحالات لسياسات هجرة تمييزية من جانب حكومة الولايات المتحدة بيد أنه نظراً لأن الولايات المتحدة لم تكن متورطة بشدة في الشرق الأوسط في ذلك الحين فإن السياسة الخارجية الأمريكية لم يكن لها سوى تأثير بسيط على هويتهم إلا أنه مع نمو الصهيونية بين الجماعة اليهودية الأمريكية ونفوذها المصاحب له على السياسة الأمريكية تغيرت الأمور بشكل حاد.

وقد أثار الأسلوب الصهيوني المشهور في استجداء الأموال في الأربعينات باستخدام شعارات من قبيل (ادفع دولاراً تقتل عربياً) وهو ما أغضب المهاجرين العرب الذين سعوا إلى معالجة الآثار السلبية لهذه الشعارات والدعايات لكنهم شعروا بالهامشية عندما أدركوا أنهم ليس لهم مدخلاً في تشكيل الأولويات أو الآراء السياسية الخارجية وأن قدرتهم محدودة حتى في الاتصال بالصحافة.

وذهب إبراهيم زيد الكيلاني نائب رئيس كلية الشريعة في الجامعة الأردنية في عمان إلى أبعد من ذلك في وصف حالة الأقلية المسلمة في نظر الشعب الأمريكي حيث قال: وكان هذا الخطاب في خريف عام ١٩٨٤ (أيها الأخوة هناك الآن موسم يستباح فيه الهجوم على المسلمين في العالم فالمسلمون يتعرضون للذبح في لبنان وفلسطين والفلبين والهند ولا يهتم أحد بذلك).

ونحن اليوم في بوسطن (أمريكا) حيث سارت مظاهرة ضخمة ضد التجارب على الثدييات وهم يعرضون حياتهم للخطر لحماية الفقمة.. لكن عندما يتعلق الأمر بموت المسلمين فإنهم يلتزمون الصمت ويستخدمون أموال ضرائبهم وطائراتهم وقنابلهم في ضرب المسلمين.

ويقول: إنكم تعاملون كمسلمين أقل من معاملة الحيوانات. وفي سؤال استنكاري يقول: إن المسلمين في أمريكا أصبحوا خنازير تجارب تجرب عليهم أسلحتها وإلا لماذا وقع الاختيار على الجنس المسلم لإجراء هذه التجارب.

إلى هنا، من خلال هذا العرض البسيط تبين لنا وبوضوح طبيعة تعامل الحكم المدني مع الأقليات في العالم وخصوصاً الأقلية المسلمة.

حقوق الأقليات في الإسلام

بعدما عرفنا الطريقة والأسلوب الذي تعامل بها الحكم المدني مع الأقلية من خلال الأمثلة المساقاة سلفاً نسلط الضوء الآن على حقوق الأقليات في النظام الإسلامي من خلال عرض بسيط لسيرة الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكيفية تعاملهما مع الأقليات في ظل النظام الإسلامي.

النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وحقوق الأقليات في الإسلام

يمتاز النظام الحقوقي الإسلامي بميزتين أساسيتين على سائر الأنظمة الحقوقية الأخرى:

١- إلهيته: أي أنه ليس منبثقاً عن هذا العالم ومن وضع واضع، بل هو نظام ذو مصدر إلهي مقدس.

٢- غير قابل للتجزئة: أي أنه يخاطب كل إنسان في كل زمان ومكان لأن قواعده مستنبطة من القرآن والسنة.

وهذه النقطة الثانية هي محور الحديث، أي أن قواعده عامة وشاملة لكل الأفراد حاضراً ومستقبلاً، ولا تختص بفئة دون أخرى وهو ما يسمى في علم المنطق القضية الحقيقية، أي أنها تنطبق على كل ما هو كائن ويكون في المستقبل وهذا النظام الحقوقي يعتمد على مبادئ خمسة: العدل، المساواة، احترام آراء الناس من خلال التشاور، الوفاء بالعهد، المقابلة بالمثل.

فالإسلام يؤمن أن الناس جميعاً بغض النظر عن اللون والعرق بإمكانهم تأسيس مجتمع واحد وأمة واحدة وأن يقيموا حياتهم الاجتماعية بدون أي فوارق وهذا ما أكدته الآية الكريمة: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) سورة الإسراء: ٧٠. حيث أن الآية تتحدث عن البشرية كافة دون عنصر أو لون وهذا المعنى أكدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) عندما كان جالساً مع أصحابه حينما مرّ من أمامهم جثمان شخص ميت فنهض الرسول (صلى الله عليه وآله) احتراماً له فقال له أحد الأصحاب: إنها جنازة رجل يهودي فأجابة الرسول (صلى الله عليه وآله): (أليس إنساناً).

وكذلك أيضاً أكد الرسول (صلى الله عليه وآله) على إلغاء الفوارق العرقية واللغوية واللونية في البيان الذي ألقاه في حجة الوداع حيث قال: (يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم من آدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم.. ليس لعربي على أعجمي ولا أعجمي على عربي ولا أحمر على أبيض ولا أبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى..).

وكذلك عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأهل الذمة من النصارى حيث جاء فيه: هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله - كان بخط الإمام علي (عليه السلام) - إلى كافة الناس أجمعين بشيراً ونذيراً وموتماً على وديعة الله.. كتبه لأهل ملته ولجميع من ينتحل دين النصرانية في مشارق الأرض ومغاربها.. ليس عليهم جبر ولا إكراه من ذلك ولا يغيّر أسقف من أسقفته ولا راهب من رهبانيته.. ولا يهدم بيت من بيوت كنائسهم وبيعهم و.. فمن فعل شيئاً من ذلك فقد نكث عهد الله وخالف رسوله.. وأنا أحفظ ذمتهم أينما كانوا.. وهم في ذمتي وميثاقي وأمانتي من كل مكروه..).

وبكلمة وجيزة فقد كان لأهل الذمة معظم الحقوق السياسية والمدنية في دار الإسلام. يقول الدكتور صبحي محمد صافي في هذا الصدد: إن الإسلام من جهة بحث مسألة الأمان على ضوء قاعدة الاختصاص القانوني لم يميز بين المسلمين وغير المسلمين على اعتبار اختلاف الدين كما لم يميز بين المواطنين والأجانب على أساس جنسيتهم أو تابعيتهم.. فقد أقر الشرع مبدأ المساواة القانونية كقاعدة عامة وطبقها على جميع المسلمين من دون تمييز لجهة الجنسية أو العقيدة وهكذا كان لأهل الذمة في دار الإسلام نفس الحقوق والواجبات التي كانت للمسلمين.

وكذلك يقول سيد قطب: إن الحياة في نظر الإسلام تراحم وتواد وتعاون وتكافل محدد الأسس، مقرر النظر بين المسلمين على وجه خاص وبين جميع أفراد الإنسانية على وجه عام، وهي كذلك في نظر المسيحية لكنها لا

تقوم على تشريع واضح مرسوم ولا على واقع محدد معلوم، بينما في نظر الشيوعية تنازع وصراع بين الطبقات.

إن صلة المسلم بغير المسلم في ظل النظام الإسلامي قائمة على أساس الوشيجة الإنسانية العامة التي تربط الإنسان بأخيه الإنسان المتمثلة بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أحب للناس ما تحب لنفسك). ومن الجدير ذكره في سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله)، جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يلاين اليهود ويتودد إليهم ويدعوهم إلى دينه بكل وسائل الإقناع والرفق بل ويشاركهم في كثير من مشاعرهم.. وآمنهم على حريتهم ودينهم ودمانهم وأموالهم ومدّ يده إليهم ليتعاونوا معه على حماية يثرب. وفيه قال الإمام العسكري (عليه السلام) قلت: لأبي علي بن محمد (عليه السلام): هل كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يناظر اليهود والمشركين إذا عاندوه ويحاججهم؟ قال: بلى مراراً كثيرة. ومما يدل أيضاً على مشاركة الرسول (صلى الله عليه وآله) للأقلية اليهودية في كل شؤونهم حتى الأفراح مجيء اليهود ذات يوم يدعون ابنته الزهراء (عليها السلام) إلى حفلة عرس لهم وقالوا له: لنا حق الجوار فنسألك أن تبعث ابنتك فاطمة إلى دارنا حتى يزdan عرسنا بها وألحوا عليه فوافق رسول الله على طلبهم وبعث الزهراء (عليها السلام). مع أن اليهود معروفون بالغدر والخيانة ونقض العهد والذمة وهم (أشد الناس عداوة للذين آمنوا).

ومن المواقف الصلبة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في حماية الأقليات أنه في بداية البعثة أرسل له المشركون أن اطرد هؤلاء عنك – أي المستضعفين من الفقراء والعبيد – ونحن لا نرى بأساً من اعتناق دينك فرفض الرسول (صلى الله عليه وآله) هذا العرض، فبعثوا إليه مرة أخرى يقولون له: إن لم يكن من بقائهم بدّ فليكونوا في مؤخرة الصفوف ونتولى نحن الصدارة، فرفض الرسول (صلى الله عليه وآله) هذا العرض وقال: إن الصدارة إنما يضفر بها أهل الكفاية وأصحاب السبق في الإيمان والعمل.

وقد حاول البعض في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يחדش قاعدة المساواة العامة أمام القانون فقبّلت محاولته بكل شدة كما في قصة المخزومية التي سرقت والتي حاول البعض التشفع لحسبها لدى الرسول (صلى الله عليه وآله) فعندما تحدث إسامة في هذا الأمر غضب الرسول (صلى الله عليه وآله) من ونهره وقال له: أتشفع في حد من حدود الله. ثم قام في الناس خطيباً يقول لهم: (إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد).

وغيرها كثير مما لا يسع المقام لذكره كقصة جيلة بن الأيهم مع الأعرابي، وقصة أبو ذر الغفاري مع العبد الأسود ومؤاخاة الحمزة عم الرسول (صلى الله عليه وآله) مع مولاه زيد، وهكذا.

علي (عليه السلام) وحقوق الأقليات في الإسلام

سيرة علي (عليه السلام) هي نفس سيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله) لأنه نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث قال الله تعالى في كتابه العزيز: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ..) آل عمران: ٦١.

فمنذ الفجر الإسلامي في مطلع القرن السابع الميلادي وتبلور المجتمع الإسلامي في يثرب ثم مكة وانتشاره

إلى سائر المناطق الأخرى كان أتباع الأديان التي لها جذور إلهية، يهودية، ومسيحية، يعيشون في البلاد الإسلامية - دار الإسلام - إلى جانب المسلمين، ولم يشعر الإسلام بحاجة إلى تهجيرهم من دار الإسلام أو فرض الانتماء إليه (لا إكراه في الدين) بل وفضل أن يظلوا إلى جانب المسلمين على ديانتهم، وعليه كان التعايش بينهما تعايش سلمي قائم على احترام حقوق الأقليات لذلك كان يقول الإمام علي (عليه السلام): (الناس صنفان إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق).

ولما طالبه البعض ببعض الامتيازات - فترة توليه الحكم - على أساس الشرف والنسب والعرق والطبقة، ردّ قائلاً: (إن من يقبل ديننا ويلتزم بعهدنا فلا بد لنا أن نجري بحقه حكم القرآن وقانون الإسلام، وليس لأحد من ميزة على غيره إلا بالتقوى). وأكد في كثير من نداءاته الموجهة إلى الأمة على أن العنصر أو القرابة أو القبيلة لا يمكن أن تمنح المسلم امتيازاً يتفوق من خلاله على غيره من المسلمين.

وعليه يروى أن شيخاً مكفوف البصر كان يسأل، فقال الإمام علي (عليه السلام) ما هذا؟ قيل له: إنه نصراني. فقال الإمام: استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعمتموه! انفقوا عليه من بيت المال. فأجري له راتب من بيت المال.

إن هذا الفعل من أمير المؤمنين إن دل على شيء إنما يدل على أن التكامل الاجتماعي الإسلامي كان يسع الأقليات الأخرى كما يسع المسلمين حتى لم يكن فيمن تحت حكم الإسلام متسول واحد.

ومن خطبة له (عليه السلام) تشير إلى هذا الأمر منها أنه قال: (وأما رجل استجاب لله ورسوله فصدق ملتنا ودخل ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده فأنتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية ولا فضل فيه لأحد على أحد وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب.. وإذا كان غد إن شاء الله فأغدوا علينا فإن عندنا مالاً نقسمه فيكم ولا يتخلفن أحد منكم عربي ولا أعجمي كان من أهل العطاء أو لم يكن إلا حضر).

واتماماً للفائدة وروماً للاختصار نذكر فيما يلي مثالين من سيرة الإمام علي (عليه السلام) تجسد فيهما الفكر الإسلامي في حماية حقوق الأقليات:

١- مقطع من كتاب له (عليه السلام) إلى مالك الأشتر والي مصر يوضح فيه منهج إلغاء الفوارق بين الطبقات، فيقول (عليه السلام): (واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها عمال الإنصاف والرفق ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة. وكل قد سمى الله له سهمه ووضعه على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه (صلى الله عليه وآله) عهداً منه عندنا محفوظاً).

وقد علق الشيخ علي الصلاح على هذا القول بقوله: لا يوجد مجتمع بلا طبقات والإمام (عليه السلام) يكتب لمالك الأشتر على هذا الأساس كمقدمة أولى للتعامل مع المجتمع لأن الناس يتفاوتون من فرد إلى آخر من حيث المستوى الفكري والمعيشي ونوعية الحياة وصحيح أن الإسلام يعترف بوجود الطبقات الاجتماعية المختلفة المتفاوتة غير أنه لا يعامل الناس على هذا الأساس الطبقي. فالناس في الإسلام سواسية كأسنان المشط.

٢- روي أن علياً صاحب رجلاً ذمياً (مسيحي أو يهودي) يعيش في دولة الإسلام فقال له الذمي أين تريد يا

عبد الله؟ فقال: أريد الكوفة. فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه الإمام (عليه السلام)، فقال له الذمي: أليس زعمت تريد الكوفة؟ قال: بلى فقال له الذمي: فقد تركت الطريق. فقال: قد علمت، فقال له: فلم عدلت معي وقد علمت ذلك؟

فقال له علي (عليه السلام): هذا من تمام الصحبة أن يشيع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه وكذلك أمرنا نبيينا. فقال له: هكذا أمركم نبيكم؟ قال: نعم، فقال له الذمي: لا جرم إنما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، وأنا أشهدك على دينك فرجع الذمي مع علي (عليه السلام) فلما عرفه أنه خليفة المسلمين أسلم.

ومن خلال هذا العرض البسيط لسيرة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) والإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) تبين لنا الفارق وبصورة واضحة حول كيفية تعامل القانون المدني مع الأقليات حتى في الدول التي تعتبر الآن أكثر تطوراً في العالم وبين تعامل القانون الإسلامي والذي عرفنا من خلاله أنه لا فرق ولا مائز بين أبناء البشر أمام القانون الإسلامي إلا بقدر قرب العبد من الله تعالى وامتثاله لتعاليمه السامية، وكما قالها الله سبحانه: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

أهداف النظام الحقوقي في الإسلام

بعد ما تبين لنا من خلال العرض السابق لحقوق الأقليات في الإسلام وكيفية التعامل مع هذه الأقلية يجدر بنا أن نعرف إلى ماذا يهدف هذا النظام؟ ومن خلال المطالعة تبين أنه يهدف إلى أمور كثيرة أهمها ما يلي:

١: إقامة العدل لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ..) النساء: ٥٨.

٢: المساواة لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الحجرات: ١٣.

٣: المساواة في المعيشة. حيث كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحيا حياته الخاصة كأفقر مسلم حتى أنه كان يضع الحجر على بطنه من الجوع وهو إمام الأمة ورئيس الدولة.

٤: المساواة أمام القانون. كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأصحابه عندما راجعوه حتى لا يقيم الحد على المرأة المخزومية التي سرقت كما ذكرنا سابقاً.

٥: المساواة في العبادة. فالمسلمون سواسية ولا فرق بين سيد أو عبد وبين غني أو فقير، ففي الصلاة يقفون صفاً واحداً. وفي الصوم يجوع الناس جوعاً واحداً. وفي الحج يلبسون لباساً واحداً.

٣- الشورى: لم يكن الله سبحانه وتعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) بحاجة إلى الشورى لأنهما يعرفان الحق والصواب دائماً، وإنما فرضت في الإسلام تطبيعاً لنفوس الناس وإشراكاً لهم بإدارة شؤون الأمة ففي معركة بدر لم يقاتل الرسول (صلى الله عليه وآله) المشركين حتى أشار عليه كل الصحابة الموجودين معه بالقتال. وكذلك في غزوة الأحزاب فحفر الخندق كان بناءً على مشورة الصحابي الجليل سلمان الفارسي.

٤- الحرية: في الإسلام متاحة لكل فرد مسلم بل لكل فرد في الدولة الإسلامية فالحرية الدينية وحرية التعبير من أولويات الإسلام كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: (لا إكراه في الدين) وكما في قصة ریحانة اليهودية خادمة الرسول (صلى الله عليه وآله) حيث بقيت على يهوديتها ولم يكرهها الرسول حتى أسلمت. وكذلك قول

ذي الخويرة للرسول (صلى الله عليه وآله) عند توزيع الغنائم: أعدل يا محمد.

وفي ختام البحث وإتماماً للفائدة وإجلالاً لإمام الأمة علي بن أبي طالب (عليه السلام) وبياناً لفضله على العالم كله، نورد الفرق بين دستور علي بن أبي طالب (عليه السلام) وبين الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أو وثيقة حقوق الإنسان التي نشرتها هيئة الأمم المتحدة بعدما تبين أن أغلب بنودها مطابق لدستور علي (عليه السلام) الموضح في كتابه (نهج البلاغة) وهو كما يراه الكاتب جورج جرداق.

١: إن الوثيقة الدولية لإعلان حقوق الإنسان وضعها ألوف من المفكرين ينتمون إلى معظم دول العالم أولها جميعاً فيما وضع الدستور العلوي عبقرى واحد هو علي ابن أبي طالب (عليه السلام).

٢: سبق علي بن أبي طالب (عليه السلام) واضعي هذه الوثيقة ببضعة عشر قرناً.

٣: إن جامعي هذه الوثيقة قد ملأوا الدنيا عجباً فارغاً حول ما صنعوه.. فيما تواضع ابن أبي طالب للناس ورب العالمين فلم يستعل ولم يستكبر بل رجا الله والناس في أن يغفروا له ما عمل وما لم يعمل.

٤: والأهم هو أن معظم هذه الدول المتحدة التي أسهمت في وضع وثيقة حقوق الإنسان واعترفت بها هي التي سلبت الإنسان حقوقه فنشرت جنودها في كل مكان تمزيقاً لهذه الوثيقة وهدراً لهذه الحقوق فيما مزق الإمام علي ابن أبي طالب كل صور الاستبداد حيث حطت له قدم وسمع له صوت حتى قضى شهيداً.

المسلمون في العالم

المسلمون في بلغاريا

إعداد: جعفر علي

تعتبر بلغاريا من الدول الصغيرة جغرافياً حيث تبلغ مساحتها نحو ١١٠ آلاف كيلو متر مربع ويبلغ عدد سكانها أكثر من ١٠ ملايين نسمة.

دخول الإسلام إلى بلغاريا

يتفق كثير من المؤرخين أنه في عام ١٣٥٤م عبر الأتراك العثمانيون (بحر إيجه) ونزلوا على ساحل اليونان، واستولوا على (غليبولي) وكانت بلاد البلقان وقتها مقسمة إلى أملاك البندقية، وبقايا من الدولة البيزنطية.

وكان استيلاء القائد التركي (أورخان) على غاليبولي بداية تقدم تركي سريع في البلقان، فسقطت (أدرنة) عام ١٣٦٢م وعند بلدة (تشيرنوفافا) على نهر مايتنزا حطمت قوات الأتراك جيش الصرب عام ١٣٧١م. وبذلك دخلت الجيوش العثمانية إقليم (تراقيا أوغلو) شمالاً في بلاد (بلغاريا) وغرباً في مقدونيا، وفي عام ١٣٨٦م استولت الجيوش الإسلامية على (صوفيا) عاصمة البلغار، ثم على (نيش)، وحاول الصربيون وقف تقدمها لكن قواهم تحطمت نهائياً في موقعة (كوسوفا) عام ١٣٨١م.

أصول المسلمين في بلغاريا

يؤلف الأتراك غالبية المسلمين في بلغاريا، وكان عددهم نحو ثلاثة ملايين مسلم أبيد منهم نحو مليون إلا قليلاً، وكانت نسبتهم أكثر من خمسين بالمائة قبل مجيء الحزب الشيوعي وحكومة النازيين. ويتمركز المسلمون في مناطق الشمال الشرقي والجنوب، وإذا ما تجول المشاهد بحرية في بلغاريا سيشاهد مدناً وقرى، وسهولاً وأنهاراً وبحوراً، وعيوناً ونبابيع مياه بأسماء إسلامية واضحة ولقد استطاع المسلمون أن يحافظوا على هويتهم الحضارية الإسلامية، ولولا حملات الإبعاد التي نظمها الحزب الحاكم ضدهم لزداد عددهم على من سواهم مجتمعين، وقد حافظ المسلمون في بلغاريا على ديانتهم ولغتهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومدارسهم ومساجدهم ومعاهدهم الدراسية العليا ومحاكمهم الخاصة بهم وأسواقهم ولباسهم وأدبهم وفنهم وصحافتهم عبر التاريخ وفي أحلك الظروف وأشرسها. وترجع أصول غالبية المسلمين البلغار إلى أصول تركية وهي كما يلي:

البوماك

حسب المعطيات التاريخية فإن هؤلاء هم أحفاد أول قبائل تركية هاجرت إلى المنطقة التي تعرف اليوم بـ(بلغاريا). وقد تمت هجرتهم في القرن الحادي عشر الميلادي (أي منذ ما يزيد على عشرة قرون كاملة). وبمرور الأيام أدخلت كلمات سلافية كثيرة إلى لغتهم، وهم أشداء يحافظون على إسلامهم بقوة، ولذا بدأ الحزب الحاكم بهم عملية (البلغة) التي قاوموها بشدة واستشهد منهم آلاف المسلمين. ويبلغ عددهم حالياً سبعمائة ألف. وقد صمد هؤلاء في صراعاتهم ضد الإرهاب والبطش، وحتى عام ١٩٧٠ لم تنجح كل الوسائل التي اتبعتها النظام لاحتوائهم عقائدياً وتمييع ثقافتهم وهويتهم الحضارية. ولذا قرر إنزال الجيش البلغاري في مناطق البوماك لبلغرتهم عام ١٩٧٤. وترى فيهم السلطات البلغارية مصدر خطر لأنهم ظلوا برغم كل الضغوط متمسكين بدينهم بشتى الطرق الممكنة وحتى بأضعف الإيمان.

النور العَجَر

وهم قبائل رحَّل متجولون بشكل مستمر، ومنتشرون في كل أنحاء بلغاريا، استماتوا في الحفاظ على دينهم وأعرافهم وتقاليدهم، ويُعرفون أنفسهم بأنهم أتراك ويتراوح أعدادهم بين سبعمائة إلى ثمانمائة ألف مسلم. وكانوا يمثلون مصدر قلق للنظام الحاكم كما يزعم لأنهم يجوبون البلاد طولاً وعرضاً ويتحملون ظروف البرد القاسية وإن كانوا لا يهتمون بالأمور السياسية.

المقدونيون

ويعيشون في الجنوب الغربي من بلغاريا، وهذا جزء من مملكة (مقدونيا الكبرى) التي أسسها (الإسكندر المقدوني)، وقد قسمت إلى ثلاث مناطق تابعة لكل من اليونان ويوغسلافيا سابقاً وبلغاريا، ويسكنها بعض المسلمين في كلٍّ من الدول الثلاث.. وفي بلغاريا تسمى منطقتهم باسم (مقدونيا بيرين). ويقدر عددهم بنحو أربعمائة وخمسين ألف مسلم، ولكن الإحصائيات الرسمية تتجاهلهم تماماً، وأعلن النظام الحاكم مؤخراً أنه لا توجد أقلية مقدونية في بلغاريا، فقد قام بتدوين لغة الشعب المقدوني ودينه وعاداته، واستعان بالجيش لإتمام جريمته.

التتار

يعيش في بلغاريا نحو مائة ألف من التتار وجميعهم مسلمون، ويشير المؤرخون إلى أن هؤلاء التتار هاجروا من الأناضول إلى ما يعرف اليوم ببلغاريا، في القرن الخامس عشر، وكانت تلك هجرتهم الأولى حيث أسسوا منطقة خاصة بهم، عاصمتها المدينة التي تنسب إليهم وتحمل اسمهم حتى اليوم في بلغاريا، وهي مدينة (تتار بازارجيك)، وبعد أن تكاثروا أخذوا في النزوح نحو الشمال. أما هجرتهم الثانية فكانت من (القرم) وذلك في أثناء حرب القرم حيث هاجروا إلى ما يعرف اليوم ببلغاريا، ويسمون (بتتار القرم) واستوطنوا المدن بشمال بلغاريا وحافظوا على لغتهم وعاداتهم وقاوموا عمليات التدوين

حتى السنوات الأخيرة، وقبل أن يبلغوا بالقوة عن طريق ما يسمى بالجيش الأحمر.

الأرناؤوط أو الألبان

نحو خمسين ألف ألباني يعيشون اليوم في بلغاريا وقد احتفظوا بإسلامهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم إلى أن تمت بلغرتهم بالقوة تحت زعم أنهم تم تتركهم (إسلامهم) في العهد العثماني، وهو جهل بأن الألبان ما زالوا حتى اليوم قومية مغايرة للقومية التركية، وأنه يوجد الآلاف منهم في منطقة كوسوفو بيوغسلافيا محتفظين بلغتهم وعاداتهم، وأن هناك دولة بأكملها للألبان تسمى (ألبانيا) وما يجمعهم مع الأتراك هو الإسلام.

الحرب الروسية - التركية

بدأت حرب الشرق ضد الإسلام في البلقان منذ الحرب الروسية - التركية عام ١٨٧٧ وكانت أول خطوة لسلخ البلقان عن الدولة العثمانية باتفاقية برلين (١٣ تموز ١٨٧٨) حيث أنشئت ولاية بلغاريا المتمتعة بالحكم الذاتي، وبدأت معاناة المسلمين مع الكيان الجديد الذي أضيف إليه إقليم جديد (سنجق) وهو شرق روميلي (بلوفديف حالياً) وفي نهاية حرب البلقان (١٩١٢ - ١٩٣١) ضمت بلغاريا تسع مدن تركية أخرى غرب تركيا و(رودب).

معالم البلغرة

تشير الدراسات والتقارير التاريخية إلى معالم خطة البلغرة، والتي تتجلى في الخطوات التالية:

- ١ - التهجير.
 - ٢ - التدمير الثقافي والقضاء على المدارس والتعليم الإسلامي.
 - ٣ - التشييت والصهر والاجتماعي.
 - ٤ - التفتيت الاقتصادي.
 - ٥ - القتل والإفناء حين فشلت الأساليب السابقة في القضاء على الكيان الإسلامي في بلغاريا.
- فعلى صعيد السكان والتهجير، تغير الميزان لصالح البلغار منذ حرب ١٨٧٧ - ١٨٧٨ التي استمرت سبعة أشهر. وأدت إلى تهجير ما يقرب من مليون مسلم من مناطقهم، وأدت العملية مع ما رافقها من مذابح وجوع ومرض إلى موت أكثر من ٣٥٠ ألف مسلم ولم يستطع الناجون العودة إلى مناطقهم وبيوتهم بعد انتهاء الحرب بسبب مقاومة البلغار وقوات الاحتلال الروسي لذلك.
- ولم تكن عوامل التهجير السابقة كافية في نظر النظام الشيوعي، لذلك بدأ في عام ١٩٤٨ بتهجير مجموعات إسلامية من إقليم دوبروسيا بالقوة. تبعته موجة أخرى في تشرين الأول من العام نفسه. وبلغت حمولة ٢٨ عربية من العائلات المسلمة نقلت من مناطق ستانلي - كوسوكافاك - درويري نحو الشمال.
- وفي أيلول ١٩٥٠ رحلت حمولة ٦٣ عربية من العائلات المسلمة من كوسوكافاك إلى ترويان، رازقراد، سومنو. وقد رافقت هذا التهجير حملة دعاية تحت شعار (العمل، التنمية، التحسين) وتميزت بسياسة مختلفة،

وهي اختيار شباب، انتزعوا من عائلاتهم ومحيطهم وشتتوا في المناطق البلغارية، وخاصة في صوفيا، بورقاز وديميتوف قراد، حيث لا توجد تجمعات إسلامية مترابطة، وما تزال هناك عائلات لا تعرف مصير أبنائها، وقد رافقت ذلك حملة تشجيع الزواج المختلط، وخاصة لدى المسلمات اللواتي انتزعن من عائلاتهم باسم (التدريب على التمريض) ثم وزعن على الأقاليم البلغارية وشجعن على الزواج من بلغار.

وفي عام ١٩٥٨ خطط النظام الحاكم ونفذ أضخم عملية إبادة في ذلك الوقت، وكانت موجهة ضد المسلمين المنحدرين من أصول مقدونية كان عددهم ٤٥٠ ألف نسمة أبيد منهم عشرات الآلاف واعتقل وعذب الكثيرون، ولم يتحرك أحد لمساعدتهم أو إبراز قضيتهم.

وأخيراً جاء دور المسلمين المنحدرين من أصول تركية فقد أعد النظام الحاكم خطة واسعة ومدروسة خلال عام ١٩٥٧ - ١٩٧٠ لتغيير هوية المسلمين وتجريدتهم من هويتهم الإسلامية وتاريخهم وتقاليدهم وأعرافهم وقيمهم..

وفي ١٩٧٠ / ٧ / ١٧ اتخذت اللجنة المركزية للحزب الحاكم في بلغاريا قرارها التاريخي بإبادة ومسح ما يزيد على ثلاثة ملايين مسلم وقامت بإرسال تعميم لكل لجان الحزب في المحافظات المختلفة حيث تحركت كل محافظة في مباشرة عملياتها لتنفيذ هذا القرار.

وفي عام ١٩٨٩ استمرت مأساة عملية التهجير هذه حتى أن أعداداً كبيرة من المناطق الشمالية الشرقية والجنوبية من بلغاريا - حيث يتركز المسلمون - قد خلت تماماً من سكانها على حد تعبيرهم. ولم يُتَحَ للذين طردوا خارج البلاد ما يكفي من الوقت لجمع أو التصرف في ممتلكاتهم أو سحب أرصدهم من المصارف. أما الذين وصلوا إلى الحدود التركية، في شهر مايو ١٩٨٩ ومعهم شيء من النقود أو الممتلكات الثمينة فإنهم تعرضوا للمصادرة من قبل ضباط الجمارك البلغار على حد تعبيرهم. وكان عدد المطرودين من المسلمين يبلغ ما بين ٢٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ شخص يومياً عبر الأراضي التركية.

التفتيت الاقتصادي

تركز الاهتمام على الجانب الاقتصادي في حياة المسلمين، وبدأت عملية تفتيت وإضعاف قوة المسلمين الاقتصادية في وقت مبكر، فمثلاً كان كل من إقليمي تونا وأدرنة في القرن التاسع عشر من أكثر مناطق التقدم الاقتصادي في الإمبراطورية العثمانية، وكان المسلمون يملكون غالبية الأراضي المزروعة، وتحت شعار (الإصلاح الزراعي) صودرت ممتلكات المسلمين من حقول ومزارع وحدائق ومنازل وحتى الحيوانات! وبحلول العام ١٩٤٩ أصبح ٨٠% من مسلمي بلغاريا من صغار المزارعين وبين أعوام ١٩٤٩ - ١٩٥٥ أممت جميع الأراضي.

التدمير الثقافي

ركزت خطة التدمير الثقافي والقضاء على التراث الإسلامي، بالقضاء على المنبعين الرئيسيين وهما المساجد والمدارس الإسلامية. ففيما يتعلق بالتعليم الإسلامي كان في بلغاريا حين انفصلت عن الدولة العثمانية عام ١٨٧٨ حوالي ٢٣٠٠ مدرسة في إقليمي أدرنة وتونا فقط، منها ٢٥ مدرسة ثانوية و ٢٠ مدرسة دينية والبقية

كانت مدارس ابتدائية، وكانت الاستعدادات جارية لافتتاح مدارس ثانوية ومؤسسات تعليمية عليا، ولكن الحرب الروسية - التركية، جاءت ضربة قاصمة للتعليم الإسلامي، حيث حُرقت فيها ٧٠٠ مدرسة إسلامية تركية، ودمرت الأوقاف وشرذ المدرسون.

وقامت الحكومة البلغارية بتغيير أسماء المسلمين وإغلاق وهدم نحو ١٥٠٠ مسجد بحجة إنشاء الطرق والمرافق أو أماكن للانتظار، ولم يبق من هذه المساجد إلا نحو عشرة مساجد، كما تمنع بلغاريا أيضاً طبع وتداول القرآن الكريم والكتب الدينية، كما حظرت الحج ومنعت الزواج على الطريقة الإسلامية.

واقع المسلمين اليوم في بلغاريا

والآن لم يبق في العاصمة صوفيا إلا مسجدان فقط، تحول أحدهما إلى متحف لفنون العمارة. وظل الثاني منتصباً غريباً وسط العاصمة، تحيط به أكشاك الوجبات السريعة ومواقف الانتظار، ومحلات تغيير العملة، ومع ذلك فقد فرح المسلمون وقالوا: أخيراً أصبح لنا مسجد نصلي فيه، حيث كانت الصلاة في أيام الشيوعيين جريمة يعاقب عليها.

كذلك فتح المسجد الموجود في مدينة بلوفديف الذي يسمى مسجد الجمعة ولكن لأمر السياحة فقط، فالمسجد مليء بالرسوم - المهملة وغير المرممة - بالإضافة إلى مزوكة شمسية لتحديد أوقات الأذان الذي لا يُسمع به. أما مسجد مدينة (بلشيك) فما زال مهملًا مغلقًا يوشك التراب أن يطمس كل ملامحه. وحده مسجد مدينة شومين مسجد شريف باشا هلال هو الذي يضجّ ببعض من الحياة وترى فيه شيوخ حولهم حلقة من الأطفال يتلقون دروس القرآن وهم يتحدثون بالبلغارية والعربية والتركية. يقول إمام المسجد: (إن من الصعب استعادة الماضي، فقد كان لدينا مكتبة نادرة حافلة بالمخطوطات ولكنها دمرت تماماً، وكانت هناك مدرسة تخرج الدعاة لكل بلغاري. إننا نحاول أن نبقي هذه المؤسسة على قيد الحياة).

ولكن هل تحسنت أوضاع المسلمين بعد العهد الشيوعي القاسي الذي بدأت محنة المسلمين الحقيقية فيه والذي كان يرى الإسلام أيديولوجية منافسة لأيديولوجيته، فقد اعتبر المسلمين طابوراً خامساً لتركيا ينبغي القضاء عليه. وتزايدت قوة هذا القمع من بداية الستينيات حتى أواخر الثمانينات وقد ظل الوضع مأسوياً حتى حدثت التغيرات الأخيرة، وكان هناك حرية نسبية واستعداد المسلمين جزءاً من طقوسهم وبعضاً من ثقافتهم وأسمانهم القديمة إلا أن الكثيرين منهم قد أصبحوا بلا مأوى ولا بيوت. لقد عاد ١٤٠ ألف مواطن من الخارج ليجدوا أن بيوتهم وأراضيهم قد ذهبت إلى غير رجعة، وحتى الذين بقوا نزعت منهم الأرض كي ترد إلى أصحابها القدامى.

إن مشكلة التمييز الديني لازالت قائمة، لقد كان هناك وضعٌ مثير للربح في البوسنة والهرسك ولكن المسلمين في بلغاريا يؤكدون أنهم لن يصلوا إلى درجة الانفجار ويقولون: (لدينا تقاليد للتعايش السلمي معاً..). وهذا ما يؤكده أحد أعضاء البرلمان البلغاري من أصول تركية، فدرس البلقان القريب بالغ القسوة، ولكن بلغاريا ما زالت على حافة الأسئلة الصعبة وهي تحاول أن تعيد ترتيب كل شيء وسوف يكون من الصعب أن نصدر حكماً قاطعاً وكل النهايات مفتوحة بهذه المشاكل.

المصادر

- ١ - المسلمون في العالم، الواقع والتحديات، محمد مخلوف.
- ٢ - مجلة العالم، ١٩ تشرين أول، ١٩٨٥
- ٣ - العربي، العدد ٤٤٦، يناير ١٩٩٦.

شخصية العدد

الخطيب

السيد مهدي المنوري

يسر مجلة الكلمة الطيبة أن تنتهز فرصة لقاء الخطيب الحسيني سماحة السيد مهدي المنوري تكملة لمشوارها الذي بدأته منذ أعدادها الأولى في تسليط الأضواء على قضايا المنبر الحسيني وارتباطه بحياة المسلم اليوم وتبثدنه بالسؤال عن:

الكلمة الطيبة: كيفية ارتقائه المنبر الحسيني؟

السيد المنوري: في البدء أقدم بالشكر للأخوة العاملين في مجلة الكلمة الطيبة لاهتمامهم بشأن المنبر الحسيني.

لقد كان لدي حافز لارتقاء المنبر الحسيني الشريف منذ طفولتي وأتذكر حينها أنه كان لي دافع لحفظ بعض القصائد. ولم يكن ذلك بهدف ولم أكن أدرك في ذلك الوقت أهمية هذا الموضوع. وارتقيت المنبر الحسيني بعد سنة من دراستي للعلوم الدينية وتحديدًا عام ١٤٠١هـ.

الكلمة الطيبة: ما هي برأيكم المهمة الرئيسية للمنبر والخطيب الحسيني؟

السيد المنوري: في الحقيقة إن مهمة المنبر الحسيني خطيرة للغاية وإن إدراك هذه المهمة بدوره مهم جداً فقليل أولئك الذين يدركون أهمية المنبر الحسيني. فقد اتخذ البعض المنبر مورداً لرزقه فهو عنده مهنة لا مسؤولية. فمهمة المنبر الحسيني هو تربية الإنسان وسوق البشر إلى الله ولا يمكن إلغاء دور المنبر بالأحداث المعاصرة اجتماعياً وتربوياً. والمنبر إذا أعطي حقه تماماً يستطيع أن يكون موجهاً ومربياً، فتحت رايته ومن منطلقه اندلعت بعض الثورات ومنه انطلق الكثير من شبابنا في مسيرته الروحية والدينية وشحذت الهمم في الكثير من الثورات والحالات الاجتماعية والسياسية. وكما أشرت يجب على الخطيب أن يكون هادفاً قاصداً وعن ضمير مسؤول ليصبح واع متحضر ومخلص.

الكلمة الطيبة: ما هي عوامل نجاح الخطيب وما هي تجربتكم الخاصة في الخطابة المنبرية؟

السيد المنوري: أما عوامل النجاح فأنا لا أستطيع أن أحدد أهم العوامل بل أقول أن عوامل النجاح عادة تكون حسب شخصية الخطيب أو حسب الظروف التي يعيشها أو أنه ينجح في معالجة حالة اجتماعية تجمع له الرصيد دائماً في باقي الأوقات، فتارة تكون من عوامل النجاح هي علاقات الخطيب الاجتماعية وتارة تكون بانتمائه إلى حزب أو إلى مرجعية تسنده في مشواره وتارة فئة معينة هي التي تأخذ بيده إلى سلم النجاح وفي بعض الأوقات يخضع عامل النجاح إلى أمور طبيعية وذاتية ترجع إلى نفس الخطيب مثل حسن الصوت والهيكل المقبول أو لباقة ذاتية. وهناك عوامل خارجية ترجع إلى تنمية النفس مثل العلم الغزير والمعلومات

والمحفوظات.

ومن ضمن العوامل فن الإلقاء الذي قد يرجع إلى موهبة من الله سبحانه لهذا الإنسان ولربما يخضع الفن تارة إلى التنمية والاهتمام والتمرين لكن في الغالب يكون الإلقاء. أمر إلهي يقولون فلان خطيب له حرارة في الإلقاء وفلان عكس ذلك.

وربما يستغرب البعض إذا قلت أن أحد عوامل نجاح الخطيب في بعض المجتمعات جهل المجتمع وقد لاحظت ذلك ورأيت من تسور على هذا المنبر المقدس ومن هو ليس أهل لذلك كيف استطاع أن يتسلق ولم يكن مؤهلاً لهذا الطريق المقدس المسؤول لكن أساليبه الفنية وإدراكه ما يرضي الناس وإن كان فيه سخط للخالف. وهناك تفصيل كثير لست بصدد الآن فقد مررت بتجارب كثيرة في حياتي المنبرية لكن ومع الأسف لم يكن هنالك ميزان دقيق بل لم يكن هنالك ضابط لهذا النوع من الانحراف المنبري لا في الحوزات ولا على صعيد مسؤولية الخطباء. وأتصور أن كثيراً من الخطباء الكبار أو من إخواني وأقراني في هذا الطريق يعانون من هذا التخبط.

إن الخطيب المسؤول الذي يعيش محنة المجتمع لا يقتصر واجبه على صعود المنبر فقط بل يشارك المجتمع في محنته وقضاء حوائجه. ليكون عاملاً مهماً لالتفاف الناس حول المنبر الشريف ومعتنقيه.

الكلمة الطيبة: هل سبقي دور المنبر الحسيني قائماً رغم كثرة وسائل الإعلام وتعددتها؟

السيد المنوري: من أسرار بقاء هذا العزاء وبقائه وبقاء هذه الثورة هي إرادة الله أولاً كما ورد في خطاب السيدة زينب (عليها السلام) تتحدى في ذلك يزيد وكل ظالم وكل من يريد إطفاء هذا النور بقولها: (يا يزيد فكديك واسع سعيك وناصب جهديك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تمتيت وحيانا وما أيامك إلا عدد وما جمعك إلا بدد وما رأيك إلا فند يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين). فهذا العزاء ضرب من الوحي والحافظ له هو الله. هذا باختصار.

وأما الأمر الثاني هو اندفاع المؤمنين لحفظ هذه المجالس وهذا العزاء وتضحياتهم في سبيل الله وفي سبيل ابن بنت النبي وحفظهم لهذه الشعائر معتقدين فيه الأجر والثواب أولاً وحفظ كيانهم والالتزام بقيمهم التي تتمثل في هذه المجالس ثانياً.

على ضوء كلام الإمام الصادق (عليه السلام) الذي يقول لفضيل بن يسار أتجلسون وتحدثون قال: بلى. قال رحم الله من أحيا أمرنا أحيوا أمرنا. فإنا والله لنحب تلك المجالس.

الكلمة الطيبة: يعتقد البعض أن هناك نوعاً من الارتجالية في الطرح المنبري، فكيف يتسنى ضبط الروايات التاريخية غير الدقيقة وفرزها في فاجعة كربلاء؟

السيد المنوري: هذا الأمر يرجع إلى شخص الخطيب في أن يراجع مصادره ويضبط الأحاديث ولا يمكن فرز هذا عن ذاك لكن أتصور أن هنالك طريقة ربما تكون كفيلة في حل هذه الإشكالية، وهي ترجع إلى الحوزات.

هو أن يتصدوا لدراسة شاملة لهذه الأحاديث ويتفقوا على صيغة خاصة أو بالأحرى على مصدر واحد موثق متفق عليه ويكون هو المرجع لجميع الخطباء وغير هذا فيكون حسب الذوق والقناعة والرأي ويكون دائماً الحدث التاريخي موضع نقاش للصحة والسقم.

الكلمة الطيبة: كيف يمكن للخطيب أن يواكب تطور عصر الاتصالات والانترنت، وهل يمكن الموازنة بين

الجانب العلمي والعاطفي في الطرح المنبري؟

السيد المنوري: لابد للخطيب أن يواكب الزمن وأن يتأهب ويستعد لما هو جديد وأن يطور نفسه وممكن أن يتجاوز كل المصاعب إذا كان الخطيب له القابلية وخاصة إذا كان قد أحكم اللغات الأخرى التي يحتاج أن يتكلم بها مع ذلك المجتمع الأمريكي أو الأوربي ولا بأس أن يكون مطلعاً على عاداتهم وعلى مشاكلهم. فآية (ليظهره على الدين كله) هي في الواقع ترشدنا إلى هذا الجانب وهو إمكانية وقابلية الدين على خرق جميع الحدود والنفوذ إلى جميع القلوب.

والجانب الآخر هو أن موضوع الحسين (عليه السلام) إرادة ربانية وأن الجانب العاطفي فيه ممكن أن ينفذ إلى القلوب ويشدّها إليه خاصة إذا استطاع الخطيب أن يصور الواقعة بأروع ما يكون لتكون أكثر تأثيراً. فإن الجانب العاطفي وجانب العزاء لا شك أن فيه مدد من السماء وهناك نظرة ربانية خاصة في قضية الحسين (عليه السلام). فالنفس الحسيني له تأثير في كل مكان وفي كل زمان ولا سيما في مثل هذا العصر الذي يعاني فيه البشر من قلة المعنويات وضغط الحياة فهو يحب أن يلجأ إلى شيء يعطيه الراحة والطمأنينة (ألا بذكر الله تطمئن القلوب). فبني أرى إذا كان المنبر أدى دوره بإحكام وبدقة يلتفت الناس حول الدين ويكون له التأثير. ختاماً أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل طاعته ومن الدعاة إلى سبيله. وأن يوفقنا لكل خير إنه سميع مجيب الدعاء. ومجدداً أشكر الأخوة العاملين في المجلة لاهتمامهم بهذه الجوانب الروحية والمعنوية وأرجو لهم التوفيق.

قراءة في كتاب

(ممارسة التغيير لإتقاذ المسلمين)

لسماحة المرجع الديني الأعلى الإمام الشيرازي (دام ظله)

عبد الله الساعدي

التغيير هذا العنوان الرحب الواسع، يطلق أحياناً على عمليات حركة وانتقال موضعين، ويطلق تارة على عمليات تجرى على مستوى المجتمع والأمة أجمع، وأياً كان فعل التغيير الذي يحدثه على الكيان الإنساني فهو ضروري لإدامة روح التطور وقابليات الإنسان على السمو بذاته وإذابة جليد السكون الذي غالباً ما يصيب المجتمعات الإنسانية الخاملة فيحيلها إلى تجمعات أشبه ما تكون بالحيوانية وهناك مصاديق كثيرة لذلك، حيث وضعت بعض المجتمعات وصنفت على أساس تحركها ومستوى التغيير الجاري في خط سيرها الحياتي العام. وقد انتبه الإسلام ونبيه إلى ذلك في القرآن الكريم في عدة آيات وأكدت الأحاديث النبوية عليها بعد ذلك، فالقرآن الكريم يشترط التغيير الإلهي بتغيير أحوال البشر بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) بينما يعبر النبي عن التغيير بالوجوب بقوله (صلى الله عليه وآله): (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإنه لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).

وقد خضع مصطلح التغيير لنوعين من التطور، الأول: أيديولوجي نظراً لهذه العملية وصاغها بقولها تتبع النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لمجتمع معين. بينما شكل التطور الثاني في مصطلح التغيير ورود إضافات تعرف هذه العملية، كالتغيير الذاتي أو التغيير الثوري أو ما إلى ذلك.

وكتاب (ممارسة التغيير لإتقاذ المسلمين) والذي هو بالأصل مجموعة محاضرات لسماحة السيد المؤلف يأخذ من المشربين أي بإمكان تطبيق الشكليات على هذه الدراسة الموسعة بالقدر الذي يوجّه فيه سماحته المتصدين لممارسة التغيير وهم قادة الحركات والأحزاب الإسلامية بدءاً بالمقدمة التي حاول فيها سماحة السيد المؤلف أن يلخص الهدف الرئيسي من الكتاب وهو إعادة العمل بالقوانين الثلاثة فيبدأ بدولة الألف مليون مسلم ثم قانون الأخوة الإسلامية والثالث قوانين الحرية والمساواة وإعادتها إلى الحياة من جديد ثم يعرج سماحته إلى بناء المؤسسات وكيفية تطبيقاته وبناء الدولة الإسلامية وقوانين الدولة من الثوري والتعددية وغيرها.

هكذا يبدأ التغيير

يضع الإمام الشيرازي (دام ظله) لعملية التغيير مجموعة من المقومات يعبر عنها بـ(المقدمات) وأولها

الوعي السياسي حيث يعتبره من أهم الأمور الواجبة على من يتصدى لهذه العملية فيشير إلى فهم السياسية بالقول: (إذ بدون الفهم المذكور لا يتمكن الإنسان من الشروع في العمل، وإن بدأ فإنه لا يتمكن من الاستقامة في أمره وإن تجلد وقاوم فإنه لا يتمكن من مواصلة السير بالحركة إلى شاطئ السلام والهدف المنشود. ومن الواضح أن عدداً كبيراً من المثقفين سواء الدينيين منهم أو الزمانيين لا يعرفون السياسة إلا ظاهراً منها لأنهم لم يدرسوها ولم يباحثوها بل ولربما لم يطالعوها وإنما كان همّ المثقفين الدينيين بعض الأمور الدينية التي هم بصددتها أما المثقفون الزمانيون فهمهم في دروسهم وممارساتهم العلمية منحصر في الطب والهندسة والفيزياء والكيمياء وغير ذلك ولذا نرى المسلمين يصب عليهم البلاء صباً وهم لا يعرفون المصدر ولا الكيفية ولا الخصوصيات ولذا يعجزون عن العلاج والخروج عن المأزق فمن اللازم دراسة السياسة دراسة مستوعبة ثم مباحثتها ومواصلة مطالعتها بدقة وحيث لا يمكن تجريد السياسة عن علمي الاجتماع والاقتصاد فاللازم دراستهما أيضاً).

ثم يعرض سماحته مجموعة من القصص الواقعية من التاريخ الإسلامي القريب والتي كانت نتيجة لغياب الوعي السياسي عند الأمة مما أفقدها خاصية التوازن ومن ثم دخول المستعمر بشتى طرقه لاختراق الصف الإسلامي عن طريق الجواسيس والعيون التي عاثت في الأرض الإسلامية فساداً ومزقت أوصالها. ويركز سماحته على أن الفهم السياسي له جانبان سلبي وإيجابي، أما الأول: فهو المعرفة والتقصي لما يجري في بلاد الإسلام بينما الجانب الثاني والذي لا يقل أهمية عن الجانب الأول وهو تشخيص المرض والعلاج معاً في عملية الفهم هذه ويرى أن سبب انقسام الدولة الإسلامية وتشتتها هو عدم تمكن المسلمين من معرفة علاج الأمراض السياسية بعد أن اصطدموا بالعقبات الجدية التي فرضتها ظروف الاحتكاك بالأجنبي وورود الأفكار الملحدة إلى الديار الإسلامية، ولا يبتعد سماحته بالموضوع حتى يضع النقاط على الحروف فيلخص عملية العلاج بقوله:

(والعلاج في المقام إنما هو ضم دراسة السياسة إلى جنب سائر الدراسات الأخرى في المناهج الثقافية بالنسبة إلى طلاب العلم سواء كانوا دينيين أو زمانيين ثم اللازم أن ينشر هؤلاء الدارسون السياسة بين المجتمع حتى تكون السياسة عند المجتمع كسائر شؤونهم العادية فكما أن كل مريض يذهب تلقائياً إلى الطبيب ويذهب كل جائع وعار عفواً إلى تحصيل الطعام واللباس كذلك يلزم أن يذهب كل فرد من المسلمين إلى تعديل الانحراف العريض الحادث في بلاد الإسلام وبذلك يقترب المسلمون إلى العلاج بإذن الله (سبحانه وتعالى).

أما عن تعريف الفهم السياسي فيرى سماحته ذلك بالقول: (ومن فهم السياسة أن يعرف الإنسان ارتباط الأمور بعضها ببعض وأن أي أمر يؤثر في أي أمر، ومعرفة المسافات والخصوصيات والمزايا والأقوام والاتجاهات والتيارات وما أشبه ذلك).

ويذكر نماذج عديدة لحالات عدم الفهم السياسي والنتائج التي آلت إليها.

ويضيف سماحته عدة شروط أخرى للمتصدي للتغيير السياسي منها معرفة التاريخ ومجريات السياسة وخصوصياتها وتفاعلاتها.

الدولة الإسلامية سر النجاح والنهاية المؤلمة

يعد نموذج الدولة الإسلامية في عهد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ومن ثم عهد أمير المؤمنين

(عليه السلام) من أنجح تجارب الدولة على الإطلاق، فالمعروف أن أغلب الدول والممالك التاريخية اعتمدت في قيامها واستمراريتها على عامل القوة والبطش ولا يستثنى من ذلك أي نموذج تاريخي على الإطلاق إلا الدول التي جاءت على شكل فرضيات حاملة كجمهورية أفلاطون، بينما وضعت الدولة الإسلامية نموذجها الواقعي والذي شكل منعطفاً تاريخياً فريداً في مسيرة البشرية، فحتى الديانات السماوية السابقة كانت تعليمات وإرشادات للمؤمنين لا أكثر، بينما جاء الدين الإسلامي بشريعة وقانون نظم الحياة السياسية والاجتماعية وقضايا الحكم والإدارة إضافة إلى التعاليم التي اشتركت مع هذه النظم في تسيير المجتمع الإسلامي.

وفي تحليل لسماحة الإمام الشيرازي في كتابه موضوع الدراسة يرى أن شخصية قائد التغيير وهو الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وجو الحرية الذي أشاعه (صلى الله عليه وآله) في ربوع الدولة الجديدة كانا السر وراء نجاح هذه الدولة ونفس الشيء حصل بالنسبة إلى دولة أمير المؤمنين (عليه السلام) والتي امتدت من ليبيا الحالية إلى داغستان، والملفت للنظر في تأكيد سماحته على أن جو الحرية هو أساس بناء هذه الدولة، ما يذكره التاريخ من عدم وجود سجن واحد في هذه الدولة على سعتها وتعدد أعراقها وأثنياتها.

كما أن هناك عوامل أخرى لنجاح الدولة الإسلامية هي القناعة النفسية بالإسلام بتعبير سماحة الإمام الشيرازي حيث قال: (لم يشك أي مسلم معتقد رغم كل الخلافات والتناقضات التي ارتكبتها المتطفلون على الإسلام باسم الإسلام، في شرعية الطريقة الإسلامية وكمالها وأنها أفضل الشرائع والأديان وخير طريقة للحياة السعيدة).

ولقاعدة المحبة والمودة التي زرعتها هذا الدين الجديد ونبيّه الكريم الأثر البالغ في إيجاد الجامع المشترك للمسلمين كوحدة لا تتجزأ في هذه الدولة الجديدة.

وكعادة سماحة الإمام الشيرازي في معظم كتاباته فإنه يركز على المقارنات لأنها تحمل بين طياتها نوعاً من الواقعية التي تضع القارئ أمام حقيقة لا تقبل الجدل ولا مناص من اختيار الكفة الراجحة فيها، لذلك فإن سماحته يأخذ أمثلة لحكومات إسلامية قامت في الهند وإيران وتركيا والمغرب ثم سقطت. وينظر إلى مدى التزامها بنهج دولتي الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) والإمام علي (عليه السلام).

وعن سبب سقوط الدول الإسلامية التي تفتقر إلى الأساس القوي للمبادئ يقول سماحته: (لما كانت أساليبهم تختلف كثيراً عن أسلوب الرسول (صلى الله عليه وآله) عجزوا عن أن يتفقوا على منهاج بناء يؤلف بينهم ويجعلهم وحدة واحدة وقوة متماسكة بل على العكس من ذلك فقد تفرقوا أيدي سباً وأصبحوا شيعاً متباغضة وأحزاباً متحاربة ولو كانت تسودهم الجماعات المفكرة المعتدلة لوحدوا صفوفهم ولصّبوا جهودهم في أجنحة كما نجد مثل هذا في كثير من البلاد الغربية المدعية للديمقراطية على أننا لا نريد تأييد الديمقراطية إلا بقدر أن دعائهم تعقلوا الأمور في إيجاد الأحزاب وجعلوها أجنحة في سبيل مصلحتهم الوطنية ولو كان المسلمون يتفقون على مثل هذا الطرح الذي ذكرناه في كتب متعددة وبصورتها الإسلامية الصحيحة لم يكن للغرب والشرق الجرأة في تضيق الخناق على المسلمين وتسييرهم بهذا السير العنيف الذي سبّب للمسلمين ضياع دنياهم ومن الطبيعي أنه إذا ضاعت الدنيا ضاعت الآخرة معها أيضاً).

مشروع التغيير وفق الرؤية المرجعية للإمام الشيرازي

إذا كان لابد من عرض كتاب (ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين) لسماحة الإمام الشيرازي فإننا بحاجة إلى بحث مطول وإحالات أخرى إلى كتب سماحته والتي وضع فيها عملية التغيير كهدف أساسي من أهداف مشروع النهضة الإسلامية الذي تبناه طيلة العقود الماضية، إلا أن قراءة هذا الكتاب تفضي بنا إلى إرائة برنامج التغيير وفق الهيكلية التي أسسها سماحته لهذه العملية، بعد عرض المقارنات التي أشرنا إليها سابقاً وسياسة دولتي الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) يصل الكتاب إلى نقطة حساسة وعملية في الوضع الإسلامي يسميها المؤلف (دام ظله) بـ(أوليات الفهم السياسي) وملخصها التركيز على كل ما هو غير إسلامي والتي تتركز في ثلاث نقاط:

١ - إن كل شيء يهدد وحدة المسلمين ويفرقهم إلى قوميات أو عنصريات أو أقليميات أو ما أشبه ذلك فهو ليس من الإسلام واللازم أن تذوب كل التقسيمات في بحر الإسلام العظيم.

٢ - إن كل من يصل إلى الحكم بلا استفتاء حر من الشعب وبلا شورى منهم ولا انتخاب فهو باطل وليس من الإسلام في شيء.

٣ - كل بلد يجهر فيه بالمعاصي والمحرمات وبمنظر من الحكومة ومسمع أو بتشجيع منها (...) باطل وليس من الإسلام في شيء.

ثم يشير الإمام الشيرازي (دام ظله) إلى أكذوبة الحضارة الغربية وفضح أساليبها البعيدة عن الحرية بمعناها الحقيقي، بعدها يبدأ سماحته بعرض الصفات التي يجب أن يتحلّى بها أصحاب عملية التغيير. ويمكن أن نجمل ما ورد في الكتاب على قسمين:

الأول: المقدمات الأساسية للتغيير، تناول فيها الإمام الشيرازي أهم المواصفات والواجبات لمن يمارس التغيير والتي قسمها إلى (٣٨) باب في السياسة والاجتماع والأخلاق وغير ذلك.

الثاني: وهو بحث في الدكتاتورية، جاء على شكل عرض تاريخي استدلالي قصصي بين فيه سماحته مساوئ الحالة الدكتاتورية وأثرها في تخريب الحضارات ومنها الحضارة الإسلامية.

وكلمة أخيرة نجمل ما جاء في فصول هذا الكتاب القيم بأنه يمثل برنامجاً متكاملًا ومنهجاً لدراسة علم السياسة الإسلامية الذي ينشده الإسلاميون في عالم اليوم، كما أن الكتاب يمثل رؤية فقهية منهجية للنظرية الإسلامية على ضوء الشريعة المقدسة، حيث عضد السيد المؤلف هذه التوجهات بالأدلة الشرعية وطابقتها على الواقع التاريخي والسياسي على مر العصور الإسلامية.

استراحة العدد

من هدي أهل البيت (عليهم السلام)

الرحم والرحمة في قاموس علي (عليه السلام)

- ببذل الرحمة تستنزل الرحمة.

- عجبت لمن يرجو رحمة من فوقه كيف لا يرحم من دونه.

- إذا عجز عن الضعفاء نيلك فلتسعهم رحمتك.

- من لم يرحم الناس منعه الله رحمته.

- من أوكد أسباب العقل رحمة الجهال.

قال الإمام زين العابدين (عليه السلام)

لنحن على الحوض ذواده	نذوق ونسقي وراده
وما فاز من فاز إلا بنا	وما خاب من حبنا زاده
ومن سرنا نال منا السرور	ومن ساعنا ساء ميلاده
ومن كان غاصبنا حقنا	فيوم القيامة ميعاده

من سير السابقين

سر السيادة لدى حاتم الطائي

لما توفي (حاتم الطائي) أراد أخوه أن يجلس في مكانه وكان حاتم قد بنى بيتاً له سبعون باباً وكان كل من يريد الدخول، يدخل من أي باب يشاء ويطلب من حاتم شيئاً فيعطيه. فأراد أخوه أن يجلس في ذلك المكان ويبذل كما كان يفعل (حاتم) ولكن أمه قالت له: (إنك لن تستطيع أن تقوم بمقام حاتم فلا تؤذي نفسك عبثاً) ولكن أخو حاتم لم يعبه بذلك، فأرادت أمه أن تثبت كلامها فلبست ثوباً رثاً وجاءت متنكرة عند ابنها وطلبت منه شيئاً وعندما أخذته أتيت من باب ثانية وأعادت الطلب فأعطاها أخو حاتم شيئاً وهو مكره وعندما جاءت أمه من الباب الثالثة وطلبت شيئاً، قال أخو حاتم غاضباً وهو يصرخ بها (أخذت مرتين وتريدين الثالثة؟ ما أصلك من سائلة) فكتفت أمه عن وجهها وقالت:

(ألم أقل إنك لا تليق لهذا، فقد طلبت ذات يوم من أخيك، سبعين مرة وما ردني في أي مرة ولقد علمت الفرق بينك وبينه عندما كنت رضيعاً لأنك كنت ترضع من ثدي وتضع يدك على الآخر كي لا يرضع منه طفل غيرك لكنه كان إذا رأى طفلاً ترك الثدي له ليرضع).

كومبيوتر وانترنت

فأرة بصرية

باستخدام فأرة الكمبيوتر هذه تحس بأنك تستخدم أصابعك على الشاشة، إذ تحس بأحجام الأيقونات وحدود الصور والنصوص الكتابية وسطور الأوامر على صفحة الإنترنت.

الفأرة الجديدة تعد الأولى في سلسلة بصرية من إنتاج شركة (لوجيتك) وهي مثالية لهواة الدردشة في الأوقات المتأخرة من الليل.

مايكروسوفت (MSN) باللغة العربية

قامت كل من شركة مايكروسوفت العالمية وشركة لينك دوت نت بتوقيع عقد تأسيس النسخة العربية من الموقع العالمي الشهير (MSN) ليكون بذلك من أكبر المواقع التي تقدم خدماتها باللغة العربية. وبذلك يكون الموقع العربي أحدث إضافة لمجموعة مواقع (MSN) التي يزورها أكثر من ٢٣٠ مليون مستخدم شهرياً على مستوى العالم.

وقد جاءت هذه المبادرة في وقتها حيث أن هناك بالفعل أكثر من ١,٨ مليون مشترك ومستخدم عربي لخدمات البريد الإلكتروني (HOTMAIL) ومشتركين آخرين في خدمات أخرى.

وستتم الإدارة المشتركة لهذا الموقع المزمع افتتاحه رسمياً في سبتمبر/أيلول من خلال مكتب في مدينة دبي للإنترنت إضافة إلى المركز الرئيسي في مصر حيث تقوم مايكروسوفت بتوفير التكنولوجيات والخبرات اللازمة لمثل هذا الموقع وتقوم لينك ودوت نت بتوفير خبرات التعريب والتطوير.

مستقبل الهاتف النقال

أنتجت شركة (بي. سي. إي. فون) هاتفاً نقالاً جديداً يحوي مواصفات الهاتف المتطورة والمنظم الإلكتروني الذي يستطيع التعامل مع ملفات الكمبيوتر والإنترنت، ويحتوي على ٣٢ ميجا بايت من الذاكرة (رام) وشاشة ملونة سعة ٤ بوصة، تعرض محتوياتها بدرجة وضوح قدرها ٦٤٠ في ٤٨٠ نقطة ضوئية.

شركة مصرية تبتكر أصغر جهاز حماية في العالم

أعلنت شركة التكنولوجيا المتقدمة المصرية أنها نجحت في ابتكار وتصميم أصغر جهاز في العالم لحماية المعلومات والشبكات الإلكترونية، كما أنتجت عدة أنظمة للحماية تشمل تأمين المعلومات والبرمجيات والشبكات، وقال رئيس الشركة أن المنتج الجديد له عدة ميزات أولها أنه تصميم مصري تماماً وبتكنولوجيا تماثل أحدث التكنولوجيات العالمية، كما أنه لا يحتاج إلى كلمة سر يحتمل كشفها أو نسيانها كما أنه لا يشغل أي حيز من الذاكرة ولا يؤثر على سرعة الحاسب أو الشبكة.

وشملت تطبيقات المنتج الجديد تأمين التجارة الإلكترونية ونموذجاً للنقل الأمني للمعلومات والصور والتقارير الإخبارية الخاصة بالصحافة الإلكترونية بالإضافة إلى نموذج لتأمين البرمجة عن بعد ونموذج لإعداد دراسات الجدوى عن بعد أيضاً.

وقال أحد مهندسي الشركة الصانعة بأنهم نجحوا في دخول مفاوضات دولية لتصدير المنتج الجديد. ومن المعروف أن عمليات التأمين للشبكات ونظم المعلومات الإلكترونية من أكبر التحديات التي تواجه تكنولوجيا المعلومات في العالم.

رقائق أصغر وأسرع

توصل العلماء إلى استحداث دائرة كمبيوتر اعتماداً على جزيء واحد وهي خطوة يمكن أن تؤدي يوماً ما إلى ظهور رقائق كمبيوتر أصغر حجماً وأكثر سرعة تستهلك طاقة أقل.

وقالت شركة (إي. بي. ام.) أن باحثيها صمموا دائرة مؤلفة من مكونات مبرمجة تؤدي وظيفة المعالجة اعتماداً على شكل دائري صغير جداً يتكون من ذرات كربونية ارفع بحوالي مائة ألف مرة من خصلة الشعر. أضافت الشركة أن الابتكار هو الثاني لها هذا العام الذي يستعين بجزيئات تعرف باسم الأنابيب الكربونية المتناهية الصغر كأشباه موصلات مما يزيد من فرص استخدامها كبديل للسليكون الذي ما زال يشكل الأساس في صناعة رقائق الكمبيوتر.

وقال فيدون افوريس كبير علماء المشروع (إن الأنابيب الكربونية المتناهية الصغر هي الآن المرشح الأكبر لتحل محل السليكون عندما يصعب تصغير الرقائق عن حجمها الحالي. ومثل هذه الإلكترونيات التي تتجاوز مرحلة السليكون يمكن أن تؤدي في ما بعد إلى تقدم بلا حدود في تصغير أحجام مكونات الكمبيوتر وفي توفير استهلاك الطاقة).

ويبحث العلماء عن بديل للسليكون لأنهم يتوقعون أنه لن يكون من الممكن خلال السنوات العشر أو الخمس عشرة القادمة، تصغير حجم الرقائق المستخدمة للسليكون مما يحد من ادخال تحسينات على حجمها وسرعتها. ٦٤% من مستخدمي الإنترنت

يطلبون الرقابة

أجرت مؤسسة مير كل الأمريكية استطلاعاً للرأي على ٢٤٠٠ شخص أمريكي يستخدمون شبكة الإنترنت بانتظام، وبين الاستطلاع أن ٦٤% من مستخدمي الإنترنت يشعرون بأنه من المتعين على الحكومة أن تضع نظماً لحماية مستخدمي الشبكة حتى لو اقتضى ذلك فرض قوانين خاصة، إلا أن العينة أكدت أن ذلك يجب أن يتم بالتعاون بين المصنعين والجهات الحكومية المختصة مع تأكيدهم على دور المؤسسات غير الربحية في وضع هذه الضوابط، وعبر ٤٥% من العينة عن قلقهم من المواقع الإباحية ووسائل التعدي على الخصوصية.

هيتاشي تطلق كمبيوتراً محمولاً بحجم اليد

أنتجت اليابان جيلاً جديداً من أجهزة الكمبيوتر المحمولة التي لا يتعدى حجم وحدة تشغيلها المركزية حجم كف اليد، أما الشاشة فهي عبارة عن عدسة مثبتة على العين بشكل مريح يتيح رؤية واضحة للتفاصيل، وقدرة فائقة على التحكم في الصفحات وإصدار الأوامر.

كان هذا الجهاز الذي لا يتعدى وزنه ٣٠٠ غرام ضرورة ملحة حرصت شركة هيتاشي اليابانية على توفيره بناء على طلب الكثير من الشركات والمصارف، التي أعرب العاملون فيها عن استيائهم من الإرهاق الشديد الذي يعانون جراء استخدام الكمبيوتر بشكل مكثف في أعمالهم، وذلك يؤثر على حالتهم الجسدية.

هذا وقد وعدت هيتاشي بتوفير هذا الجهاز المنفذ من الإرهاق، الذي يتيح سهولة في الحركة والتنقل بحلول عام ٢٠٠٢.

٣٢ بوصة للتلفزيون والكمبيوتر والانترنت

أنتجت شركة (برينستون) شاشة مسطحة لتستخدمها كتلفزيون أو كشاشة كمبيوتر، أو لنخرج منها لوحة مفاتيح نكتب عليها بريدنا الإلكتروني ونرسله عبر الإنترنت ونتصفح من خلالها مواقع الشبكة، وإضافة إلى ذلك تعرض الشاشة البث بتقنيات HDTV عالية الوضوح. اسم Ai٣. ٢HD.

طب

دماغ دينس يشغل ذراعيه

دنيس شاتليه، صاحب أشهر عملية زرع ذراعين والتي جرت في أحد مستشفيات ليون الفرنسي منتصف عام ١٩٩٦، كان قد سبق وأن فقد ذراعيه الأصليتين في حادثة تفجر نموذج صاروخي للهواة، الأمر الذي جعل الخلايا العصبية المسؤولة عن عمل الذراعين تندثر، غير أن الذراعين الجديديتين أثارتا في الدماغ مجدداً حوافز عمل هذه الخلايا التي أخذت شيئاً فشيئاً بالسيطرة على جميع العمليات الحياتية والحركية لهما.

نخاع العظم منجم للخلايا الجذعية

من المعروف أن نخاع العظم عند الأحياء الناضجة يحتوي على الخلايا الجذعية الدموية التي تمد الجسم بما يحتاج إليه من خلايا دموية.

غير أن الباحثين وضعوا أيديهم منذ ثلاث سنوات على حقيقة أن نخاع العظم يحتوي أيضاً على خزين من الخلايا الجذعية غير المخلفة التي يمكنها تعويض أعضاء الجسم المختلفة بما تحتاج إليه من خلايا، مثل العضلات والعظام والغضاريف، وهذا يعني أن هذا النوع من الخلايا غير مقتصر على الأجنة.

وفي تجارب مختلفة على فئران المختبر تبين جلياً إمكان الاستفادة من هذه الخلايا الموجودة في نخاع العظم والأنسجة الدهنية، لتكوين أنسجة رئوية وموعية وكبدية وحتى أنسجة جلدية.

إلا أن هذا المنجم من الخلايا بحاجة إلى هندسة وتقنية طبية تحول دون اتجاه الأنسجة المخلفة اتجاهات خاطئة.

ورود لمعالجة التجاعيد

(أدلويس) اسم ورده نادرة تنبت عادة في قمم الجبال العالية الثلجية.. اكتشف أحد العلماء العاملين في شركة بانتافارم لمواد التجميل بعد تحليلات مخبرية أنها تساعد في إزالة التجاعيد، الأمر الذي دفع الشركة إلى زراعة أطنان منها في حقول خاصة والإغداق على مكثفها بالأموال.

سرطان الثدي بين المدخنات وغير المدخنات

ذكرت دراسة أميركية جديدة أن المدخنات المصابات بسرطان الثدي تزيد بينهن نسبة امتداد المرض إلى الرئتين عنها بين المريضات غير المدخنات.

وأجرت الدراسة الطبيبة سوزان مورين (الأستاذة المساعدة في كلية الطب في جامعة ديفيز في كاليفورنيا) وجون اينسياردي (خبير الإحصاء في الجامعة)، وراقبت الدراسة ٨٧ مريضة بسرطان الثدي امتد المرض لديهن إلى الرئة.

وقارن الباحثون بينهن وبين ١٧٤ مريضة بسرطان الثدي لم يمتد عندهن المرض إلى الرئة على أساس تاريخ تشخيص المرض وسن المريضة عند التشخيص وحجم الورم وما إذا كان السرطان قد اكتشف في العقد الليمفاوية. وتساند نتائج الدراسة التي نشرت أخيراً، دراسات سابقة تربط بين التدخين وزيادة خطر انتشار سرطان الثدي إلى الرئتين أو زيادة نسبة الوفيات بسرطان الثدي بين المدخنات عنه وبين غير المدخنات.

سرطان الدماغ لماذا يصيب.. أناساً محددين؟

اكتشفت دراسة جديدة أن معدلات الإصابة بسرطان الدماغ أعلى في بعض المهن منها في مهن أخرى. وقال توغجانغ جينغ من (كلية الطب في جامعة يال الأمريكية) أن معدلات الإصابة بسرطان الدماغ والوفيات من جرائه ازدادت في العديد من البلدان الصناعية وخاصة بين المسنين. وأوضح أن احتمالات الإصابة بسرطان الدماغ تكون أعلى بين العاملين في بناء السطوح وإنتاج ألواح الفولاذ الذين يتعاملون مع المنتجات المطاطية والبلاستيكية أو يعملون في خدمات التنظيف من بين مهن أخرى. وتزداد احتمالات الإصابة بسرطان الدماغ بين النساء العاملات في الخدمات والمهن الزراعية وصناعة المنسوجات والمعدات الكهربائية والإلكترونية وبين النادل أيضاً.

وقال جينغ أن السبب في ازدياد احتمالات الإصابة بسرطان الدماغ في هذه المهن قد يكون عائداً إلى تعرض العاملين للمبيدات والمذيبات الكيميائية والأصبغ وأبخرة المعادن وغيرها من المواد الكيميائية والفيزيائية المسببة للسرطان.

علوم وتكنولوجيا

تلفزيون يتذكر ما شاهدته ويراجعه

طرحَت شركة جي في سي، JVC، تلفزيوناً رقمياً جديداً، يمتاز بشاشة مسطحة عريضة عالية النقاوة، تأتي في قياسين ٢٨ إنشاً و٣٢. وجاء اسمه نتورك أتش دي دي، Network HDD، من كونه يحوي قرصاً صلباً (كقرص الكمبيوتر)، سعته ٢٠ جيجا بايت، ومسجلة إلكترونية لتسجيل البرامج التلفزيونية. وبوجود القرص الصلب، تنتفي الحاجة إلى الأشرطة المغناطيسية التقليدية. وبات المستخدم يتحكم بمرات المشاهدة وأوقاتها، أكثر من أي وقت مضى. فإذا أتاه زوار، على حين غرة، أو اضطر إلى الرد على مكالمات هاتفية، يكفيه الضغط على زر الإيقاف، Hold، وقضاء غرضه، بينما يتابع الجهاز تسجيل البرنامج، ثم يعود ليستأنف المشاهدة بالضغط على الزر نفسه من جديد. وبالطريقة نفسها، يمكنه مراجعة مشهد أحبه أو فاتته، ومشاهدته مرة أخرى أو مرات عدة. وإذا عاد إلى منزله، وقد مضى وقت على بداية برنامج يسجله الجهاز - أثناء غيابه - يمكنه الشروع في مشاهدته فوراً، من دون أن ينتظر نهايته. كذلك، ينشئ القرص الصلب - تلقائياً - جدولاً بمحتويات البرامج المسجلة، مع أيقونات تمثلها، يصل عددها إلى ٦٠.

تجسس نسائي إلكتروني

تلجأ النساء في تايلند إلى وسائل مبتكرة تعتمد على التكنولوجيا الرقمية من أجل مراقبة السلوك الأخلاقي للأزواج بعيداً عن بيوتهم. وكشفت صحيفة تايلندية حقيقة انتشار موضة الرقائيق الخفية التي تدهسها النساء في الهواتف النقالة التي يحملها الأزواج، بغرض المراقبة عن بعد. وتعمل تلك الرقائيق على التقاط الأصوات والذبذبات وتحليلها لتمكين المرأة من معرفة ما يفعله زوجها بالضبط في لحظة معينة، ويتم تشغيل البطاقة لتقوم بالعمل المطلوب منها بموجب التحكم عن بعد، عبر قيام المرأة بالضغط على زر معين، بحيث يجري تشغيل البطاقة في الأوقات التي تشتبه المرأة أن زوجها ربما يمارس سلوكاً مشيناً، أو شيئاً من قبيل الخيانة. وتبلغ تكلفة الهاتف (الجاسوس) في تايلند بين ٧٠٠-٩٠٠ دولار، وهو مبلغ باهظ بالقياس لمستوى المعيشة السائد، ومع ذلك فإن العديد من النساء لديهن الاستعداد لدفع المبلغ شريطة أن يتأكدن من حسن سير وسلوك أزواجهن.

ساي.. روبوت شخصي

بأقل من ألف دولار، تستطيع الحصول الآن على روبوت شخصي جداً تستطيع التحكم فيه من أي مكان في العالم عبر شبكة الإنترنت، ليتفحص لك شفتك ويفيدك بمعلومات عن وضع كل شيء فيها، أكثر من ذلك يستطيع أن ينقل لك صوراً حية لكل أرجاء المنزل عبر كاميرا حاسوبية يشتمل عليها. الروبوت الجديد يدعى Cye ويأتي مشتملاً على حزمة برامج المشغلة.

هاتف رقيق جداً من سامسونج

طرحت شركة سامسونج للإلكترونيات هاتفاً نقلاً رقيقاً جداً تقل مساحته عن سنتيمتر واحد حتى مع البطارية القياسية.

وعرضت الشركة هاتفها الجديد سي. بي. أتش. إن ٢٠٠٠، في معرض كوريا للاتصالات ٢٠٠١، إذ نال إعجاب الخبراء والزوار معاً، وتقول مصادر الشركة إن هذا المنتج سيدفع الكثير من الشركات للدخول إلى غمار المنافسة لإنتاج هواتف رقيقة تتوافق مع طلبات الزبائن.

جهاز محمول يحمي من الكيمائيات.. وربما من المأكولات الضارة

قال باحثون انهم ابتكروا جهازاً معقداً صغير الحجم يمكنه مراقبة البيئة بحثاً عن الكيمائيات الضارة ويحمي حامله من التعرض للمواد السامة والأطعمة الفاسدة.

وأفاد بحث نشر في مجلة (ساينس) العلمية أن الجهاز الحساس الجديد الذي يعمل بالكريستال السائل ويمكن حمله مثل شارة على الملابس يتيح رصداً فورياً للكيمائيات في الجو التي يصعب حتى الآن رصدها باستخدام التكنولوجيا الحالية التي ما زالت تقتصر في أغلبها على المعامل.

وقال الباحثون انه يمكن في المستقبل استخدام هذه الأجهزة الحساسة في تطبيقات سلامة الغذاء مثل مراقبة مستويات المركبات المنبعثة من اللحم والسمك الفاسدين. كما قد تستخدم أيضاً في مراقبة تعرض البيئة للمبيدات الحشرية وربما أنواع معينة من غازات الأعصاب القاتلة مثل السارين.

والتكنولوجيا المطلوبة لاكتشاف مثل هذه المركبات موجودة بالفعل لكنها تقتصر أساساً على المعامل كما أنها كبيرة الحجم ومعقدة.

وقال نيكولاس ابوت الباحث بجامعة وسكونسن الذي شارك في إعداد الدراسة أن الجهاز الجديد إذا استخدم في مجال واسع من التطبيقات يمكنه أن يجعل من هذا التكنولوجيا منتجاً يدر عدة مليارات من الدولارات.

أضاف أن الاستخدامات الأولية للجهاز الحساس يمكن أن تتاح في غضون عامين إلى ثلاثة أعوام. وقال الباحثون أنهم سيواصلون دراسة هذه التكنولوجيا وتطوير تطبيقات أخرى تشمل نسخة مرنة يمكن نسجها في الملابس.

بصل x بصل

أعلن خبير في أمن المعلومات في وزارة الدفاع الأمريكية أنه قدم وزملاء له براءة اختراع خاصة بحماية سرية أسماء المتراسلين عبر الشبكات الإلكترونية وذلك بتغليف الرسالة ومصدراً بسلسلة من اللفائف الشبيهة بحلقات البصل الملفوفة الواحدة داخل الأخرى.

وقال باحث في مختبر أبحاث البحرية، أن كل التقنيات المتوفرة لترميز أسماء مرسلتي الرسائل الإلكترونية أو مصدرها ووضعها بشيفرات يصعب فك أسرارها، لا تزال غير موثوقة بما فيه الكفاية، لذلك فإن اختراع لفائف

البصل الإلكترونية هذه سيؤمن ترميزاً أعلى وأفضل للرسائل الصادرة من المؤسسات العسكرية أو أجهزة المخابرات.

رادار يقهر (الشبح)

قالت شبكة ايه. بي. سي. التلفزيونية الأمريكية أن الصين وروسيا وعدة شركات أوروبية وأمريكية تعكف على صنع نظام رادار جديد قادر على رصد طائرات ستيلث (الشبح) القادرة على الإفلات من أجهزة الرادار الحالية. ويهدد نظام الرادار الجديد بجعل الطائرة بي ٢ (الشبح) التي كلفت ٤٠ مليار دولار طائرة عتيقة عفا عليها الزمن. وقالت الشبكة نقلاً عن مصادر مخابرات أن المحللين يشعرون بالقلق من أن العراق ربما يستعد بمساعدة الصين لبناء ما يطلق عليه نظام (الرادار السلبي) الذي يمكنه رصد الطائرات دون أن يعلم الطيار بذلك. وفي أجهزة الرادار التقليدية يعلم الطيار أنه تم رصده ويستطيع المناورة للإفلات من الرادار.

وأضافت ايه. بي. سي. أن نظام الرادار السلبي يرصد موجات اللاسلكي منخفضة التردد ويستخدم أجهزة كمبيوتر فائقة السرعة في التمييز بين الإشارات التي ترتد من الأجسام المتحركة في الهواء. ولأن تكنولوجيا الكمبيوتر متاحة على نطاق واسع ويمكن أن ينتهي الأمر بتوفر الرادار السلبي بتكاليف غير باهضة نسبياً فإن محلي المخابرات يشعرون بالقلق من أنهم سيواجهون قريباً هذه الأنظمة في الخارج. ونقلت الشبكة عن مسؤولين في القوات الجوية الأمريكية قولهم أنهم يعملون بالفعل على إيجاد سبل لمواجهة جهاز الرادار الجديد.

عالم عجيب

دبلوماسي حرامي

فيليكس بلوك، دبلوماسي سابق لدى سفارة الولايات المتحدة في فيينا، وهو معروف من خلال القضية التي اتهم فيها بالتجسس لمصلحة بلاده، ومن المفترض أن بلوك يعيش عيشة جيدة في أمريكا، لا تجبره على السرقة، ولكن الكاميرات الخفية في أحد المحلات الكبرى ضبطته متلبساً بمحاولة سرقة مشتريات بقيمة ١٠٠ دولار في أثناء تسوقه فيه. وتقدم أحد حراس المحل من بلوك، وهو منهمك في تحميل مشترياته المسروقة في سيارته المرسيديس الفخمة، وطلب منه مرافقته إلى مركز الشرطة.

هدية ناسفة

قام رجل أمريكي يدعى كريستوفر بيشوب بإرسال هدية غير عادية إلى المرأة التي يحبها، وهي عبارة عن طرد يحتوي قنبلة مسمارية خفيفة، ورسالة تحمل عبارة واحدة تقول أنت المسؤولة عما سيحدث، وأنت الحلقة الأضعف.. وداعاً. ومع أن الرسالة انفجرت إلا أن حظ المرأة كان حسناً إذ لم تصب إلا بجروح بسيطة في يديها. ويقول بيشوب، الذي يعمل مبرمجاً حاسوبياً، إنه أراد معاقبة المرأة التي تخلت عنه في الوقت الذي كان فيه يحبها بصدق. ولكن صدق عواطف بيشوب لم يحل دون تقديمه للمحاكمة بتهمة إرسال طرد ناسف، وتهديد حياة الآخرين.

فيتنامي يموت من عضه صهره

قالت الشرطة الفيتنامية أن رجلاً في الخمسين من عمره توفي متأثراً فيما يبدو بأزمة قلبية أصابته بعد أن قضم صهره قطعة من أذنه.
وذكرت الشرطة أن الضحية - ٥٢ عاماً - وهو من سكان إقليم كين جيانج بجنوب فيتنام لفظ أنفاسه الأخيرة بعد نحو ساعة من إصابته أثناء محاولته فض مشاجرة بين ابنته وصهره الذي احتجزته الشرطة للتحقيق معه.

مباركة الحيوانات

لا يكفي الأمريكيين أنهم ألبسوا كلابهم وقططهم الثياب وعاملوها مثل أطفالهم وأكثر وأوجدوا لها أماكن لتصفيف شعرها وأخرى لرياضة الأيروبيك، بل ها هم الآن يهتمون بروحها. فأمام كاتدرائية واشنطن يمرّ صف طويل من الناس الحاملين قططهم وكلابهم أمام الكاهن لمباركتها.

تؤجر رحمها لأسرتين معاً

من نوادر تأجير الأرحام، ما أوردته صحيفة إيطالية عن أم بديلة عمرها ٣٥ سنة، تحمل في أحشائها توأمين كل منهما ينتمي لأم وأب مختلفين، وجاء في الصحيفة أن الاتفاق تم مع السيدة نتيجة عدم توافر ما يكفي من الأمهات البديلات، لمواجهة الطلب المتزايد على استئجار الأرحام، من جانب أزواج لديهم أسباب تحول دون تحملهم أعباء الحمل والولادة. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: من سيحدد أياً من الطفلين المولودين يعود إلى هذه الأسرة أو تلك؟ تقول السيدة إن الأطراف جميعاً متفقون على إجراء فحص وراثي للطفلين لحظة الولادة، لذلك الغرض.

هل تعلم؟

* هل تعلم أن عضلة الأذن من الأعضاء التي توجد في جسم الإنسان ويطلق عليها أعضاء أثرية لأن الإنسان لم يعد يستخدمها في تحريك الأذن كإنسان العصور الأولى، حيث كان يوجه أذنه تجاه مصدر الصوت.
* هل تعلم أن قلب الزرافة يبلغ وزنه حوالي ٢٠ ضعفاً من وزن قلب الإنسان، وذلك حتى يتمكن من دفع الدم إلى رأسها العالي بسبب طول عنقها.
* هل تعلم أن القلم الرصاص لم يصنع من الرصاص، كما هو شائع ولكنه في الحقيقة مصنوع من الجرافيت، وهي مادة مستخرجة من الفحم.
* هل تعلم أن متوسط وزن القلب يبلغ في الرجل حوالي ٣٢٥ غراماً. ومعدل دقاته هو ٧٢ دقة في الدقيقة في المتوسط، ويبلغ مجموع ما يضخه من الدم في الجسم كل يوم حوالي ١١ طناً.
* هل تعلم أن أضخم شجرة في العالم توجد في ولاية كاليفورنيا، وهي من أشجار السيكويا ويبلغ طول جذعها ٨٩,٩ أمتار. أما محيط قطرها فيبلغ ٣٢,٣٤ متراً، ويبلغ سمك قشرتها ٠,٦٤ سم، في بعض المواضع،

وقد قدر وزنها بحوالي ٦٠٠٠ طن.

* هل تعلم أن النيزك أو الشهاب، هو أي جزء من المذنب أو كوكب يخترق فضاء الأرض محدثاً ظاهرة ضوئية، وقد سقط أكبر نيزك على الأرض في عام ١٩٢٠ فوق جنوب غرب أفريقيا، وكانت كتلته تقدر بحوالي ٥٩ طناً.

* هل تعلم أن اشد الكواكب حرارة هو كوكب الزهرة، حيث قدرت حرارة سطحه بحوالي ٤٦٢ درجة سنتيجراد، وذلك حسب تقديرات سفن الفضاء الأمريكية والروسية.

* هل تعلم أن ملكة النحل هي التي تبيض في المملكة المنظمة وهي تبيض يومياً وتضع ما يقرب من ألف وخمسمائة بيضة.